



# مراجعات

مراجعات

ربيع الأول 1439 هـ - نوفمبر 2017م

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

## الصفحة الأولى...

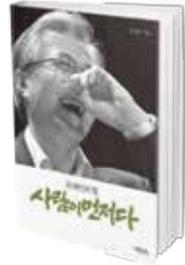
### هلال الحجري

من الأطروحات العلمية التي أنجزها الدارسون العمانيون في الخارج، أطروحة دكتوراه بعنوان «مبادئ البحرية العمانية». قدمها خميس بن سالم الجابري لجامعة إكستر في بريطانيا سنة ٢٠١٢.

يذكر الباحث في ملخص الدراسة أن الأهمية الاقتصادية والأمنية للمصالح البحرية والسياسية حول العالم قد تغيرت مع تغير المناخ الأمني الدولي، وكذلك تغيرت أهمية الطرق البحرية الأمانة تلبية للطلب العالمي. ويؤكد الباحث أن عمان تعتمد بصورة متزايدة على البحر من أجل التجارة البحرية واستغلال الموارد البحرية، ولكن في غياب سياسة واستراتيجية بحرية مشتركة لمواءمة مصالحها التجارية والبحرية، فإن مواردها البحرية ستبقى ناقصة. ويقول الباحث إن مصلحة عمان الرئيسية هي ضمان أمنها البحري الوطني من خلال الحفاظ على قوات بحرية وقوى أخرى فعالة؛ لحماية مياها وتجارها البحرية. ومع ذلك، كما يزعم الباحث، فإنها لا تزال تحتاج إلى مبادئ بحرية رسمية لدعم سياساتها. وعليه، يجادل بأن المبادئ البحرية ستعين عمان على استخدام قوتها البحرية وحماية مصالحها الوطنية.

ونظراً لغياب الوثائق الأرشيفية حول هذا الموضوع، اعتمد الباحث على المقابلات الشخصية مع الخبراء والممارسين البحريين، وحلل مجموعة واسعة من المنشورات الرسمية والمصادر الثانوية المتعلقة بالسياسات والمبادئ البحرية، وسلط الضوء على العلاقة بين النمو الاقتصادي والتجارة البحرية في عمان، كما أنه درس دور صناعة النقل البحري في عمان والأنشطة المتصلة بها، وقارن تجارب وخبرات العديد من الدول التي وضعت مبادئ بحرية لها. ويؤكد الباحث أن حاجة عمان إلى مبادئ بحرية لحماية مصالحها الوطنية وسيادتها أمر ملح، حيث ينبغي أن توجد تنسيقاً وتربطاً بين قوتها البحرية، واستراتيجيتها العسكرية، وسياساتها، وإجراءاتها التشغيلية الدائمة عبر مبادئ بحرية واحدة من شأنها أن توفر أساساً للتفاهم المتبادل بين وحدات قوات السلطان المسلحة، والوحدات الحكومية ذات الصلة، وصانعي السياسات الوطنية، وضماناً للكفاءة والدراية التشغيلية. يقترح الباحث في نهاية دراسته إنشاء هيئة إدارية منفصلة للإشراف على تدوين المبادئ والإجراءات، وهذا ما يكسب أطروحته أهمية خاصة؛ إذ إن صياغة المبادئ البحرية سيسهم في حماية مصالح الدولة.

تنقسم هذه الدراسة إلى سبعة فصول: يعرض الفصل الأول بعض التفاصيل الموجزة للدراسة محدداً سياقها وأهدافها ومنهجيتها. ويسلط الفصل الثاني الضوء على العلاقة بين النمو الاقتصادي والتجارة البحرية مناقشاً دور صناعة النقل البحري والأنشطة التي تدعمها. ويناقش الفصل الثالث أهمية موانئ عمان كمصادر لمصالحها البحرية. أما الموارد النفطية والغازية والأسماك البحرية في عمان فتم دراستها في الفصل الرابع. والفصل الخامس يدرس دور البحرية السلطانية في حماية سيادة عمان. ويناقش الفصل السادس عوا مل المبادئ البحرية التي يفترض أن تشمل جميع السياسات الموضوعية بمعزل عن بعضها البعض. وقد تم تلخيص النتائج والتوصيات الرئيسية للدراسة في الفصل السابع الذي قدم استنتاجات حول دور المبادئ البحرية في التنمية الاقتصادية والأمن الوطني في عمان.



• «الناس أولاً؛ قوة،  
• مون جيه إن



• «رومانسية الاتحاد السوفيتي»  
• فيودر رازاكوف



• «موسوليني والمسلمون»  
• جانتاركو مازوكا وجانماركو والش



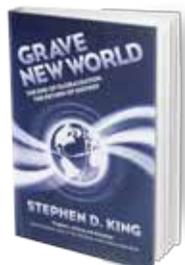
• «الرد والدليل في نصرة الدين الذليل»  
• ييهودا اللاوي



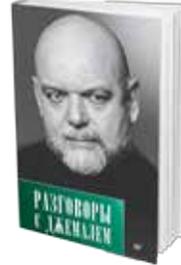
• «إلى أين يتجه العالم؟...»  
• لباسكال لامي ونيكول جنيسوتو



• «من الأرجنتين إلى المغرب»  
• أدريان باترون



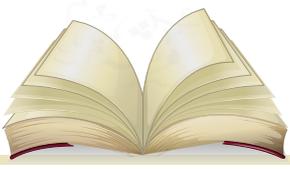
• «العالم الجديد الغامض»  
• ستيفن د. كينغ



• «في الإيمان والسياسة»  
• تحيدر جمال



• «حديث من دون أن يكون غريباً في  
أصول يابان اليوم»  
• بيير فرنسوا سويري



# موسوليني والمسلمون.. صفحات من تاريخ الفاشية والإسلام جانكارلو مازوكا و جانماركو والش

## عز الدين عناية \*

جاء اعتلاء الزعيم الفاشي بنيتو موسوليني كرسي السلطة عام ١٩٢٢ ثمرًا لتسويات بين الحركة الفاشية والقيادات السياسية التقليدية المنتفذة في إيطاليا، فقد كانت سمات الائتلاف لنظام سياسي يقوده موسوليني بارزة المعالم حتى نهاية عام ١٩٢٥. وفي تفسير الظاهرة الفاشية التي اجتاحت إيطاليا في ذلك العهد، اعتبر المؤرخ رينسو دي فلييتشي الفاشية تعبيرا عن تطورات جارية لـ«فئات اجتماعية متوسطة» و«شرائح بورجوازية صغيرة» على الأغلب، والتي استمر صعودها إلى حين تشكل طبقة اجتماعية وقوة جديدة في المجتمع. ومواكبة لذلك التطور سعت الفاشية كحركة، لوضع يدها على الأوضاع الجديدة. ومن هذا الباب يمكن اعتبار الفاشية حركة ثورية ارتبطت بحراك جماهيري داخل نسيج المجتمع وتحولاته، استطاعت الاستيلاء على الدولة وتوجيهها.

في «تحضير» شعوب المنطقة. في القسم الثاني من الكتاب وتحت عنوان: «إيطاليا والتحفز نحو بلاد المغرب»، يبرز المؤلفان أن إيطاليا كانت من بين البلدان الأوروبية التي تنظر إلى الجوار المغربي (تونس وليبيا أساسا) بعين الشرح والتحفز لاقتناص الفرصة وضمهما. ولكن منذ أن احتلت فرنسا، بمقتضى معاهدة باردو (١٨٨١) تونس، التي تقيم فيها جالية إيطالية تفوق نظيرتها الفرنسية عددا، تبخر حلم إيطاليا في الاستحواذ على تونس وتركزت أنظار الساسة والعسكريين الإيطاليين في شطر إقليم طرابلس وبرقة، الواقعين تحت سلطان الإمبراطورية العثمانية منذ العام ١٥٥١ وإلى غاية احتلال طرابلس سنة ١٩١١. فعلى مدى عقود سابقة سعت إيطاليا جاهدة للنزول بما يسمى «الضفة الرابعة». بدءا من الاستعدادات العسكرية لغزو البلاد الإفريقية (١٨٨٤)، وإلى غاية إرساء الوفاق مع فرنسا (١٩٠٢) لتقاسم النفوذ، وما صحبه من تهيئة الرأي العام لحملة استعمارية، جرى أثناءها تصوير غزو ليبيا أنه مجرد «نزهة عسكرية»، وأن الثروات الوفيرة للبلد ستغطي تكاليف الحرب. كما عملت الدعاية الاستعمارية على بخس الدور العثماني في ليبيا وتصويره بمثابة العبء الذي تزرع تحت وطأته ليبيا، وهو ما خلف فقرا وجهلا وتخلفا، غير أن الوقائع التاريخية تكشف أنه منذ العام ١٨٧٨، أصدرت السلطنة العثمانية فرمانا يوجب إلزامية التعليم على كل سكان الولايات. وبين سنة ١٩٠٠ و١٩١٠ تم بناء سبع وعشرين مدرسة ابتدائية بطرابلس، تحاذي الكتابات الموجودة سلفا. وفي المستوى العالي شيدت الرشديات، وهي مدارس تحضيرية تسمح بدخول المدارس العسكرية العليا والمعاهد التقنية لتكوين الموظفين الإداريين. وعلى خطى مشابهة جرى تطوير الصحافة، ففي طرابلس وحدها يمكن إحصاء ثمانين صحفا، بين جرائد يومية وأسبوعية، في شتى اللغات: العربية والتركية

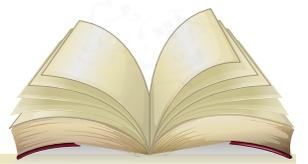
تخميناتها إلى أن حماس موسوليني ينبع بالأساس من فكرة الإنسان الأرقى النيتشوية التي تتلاءم مع إله قوي مسيطر، وهو ما يتماثل مع إله النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). وبمنأى عن تلك التأويلات فقد شهدت إيطاليا، في أواخر القرن التاسع عشر وفي مطلع القرن العشرين، تحفزا استعماريًا لبيسط نفوذها على الأراضي الإسلامية القريبة، في ألبانيا والبوسنة والجزيل الأسود، ولتتمدد ذلك في فترة لاحقة صوب إفريقيا وحتى مشارف اليمن (ص: ٦٦).

في الأثناء يتعرض مؤلفا الكتاب إلى الدور الذي لعبته خلية موسوليني، ليديا رافانيلي، في إغرائه بالسير قدما صوب العالم العربي في سياساته التوسعية. فقد كانت تلك المرأة قارئة نهمة لأدبيات الشرق وواقعة تحت تأثير الدراسات الاستشراقية في أوروبا، في فترة كان يمثل فيها المشرق منبع السحر لدى كثير من الكتاب. هذا الانبهار الذي تسرب إلى موسوليني تحول إلى مشروع استعماري فعلي في فترة لاحقة. ولذا فالدوتشي (موسوليني)، كما يورد الكتاب، كان الأمر طبيعيا بالنسبة إليه فلقبه العائلي يتحدر من مسمى القماش اللين الشفاف الذي تعود أصوله إلى مدينة الموصل العراقية.

بعد تقاسم الفرنسيين والإنجليز النفوذ في شمال إفريقيا، لم يبق لإيطاليا، الجارة الأوروبية المطلّة على بلاد المغرب، سوى ليبيا بعد أن بخستها الرؤية الاستعمارية، الفرنسية والإنجليزية، بنعتها بـ«صندوق الرمال». لكن الدعاية الاستعمارية الإيطالية صورت ليبيا بمثابة الجنة الخصيبة، وكان آل سافويا، حكام إيطاليا في ذلك العهد، يراهنون على دعم الإنجليز الذين سيقاضونهم بليبيا لإبعادهم عن التحالف مع ألمانيا. ضمن هذه الأجواء الاستشراقية المغرية والوقائع الاستعمارية الدافعة، تفاقم هوس القوميين الإيطاليين بأن إيطاليا الحديثة دورا مماثلا لدور «روما القديمة»

لكن الفاشية بوصفها إيديولوجيا وحركة ذات أبعاد قومية، لم تكن محصورة بالفضاء الإيطالي، فقد كانت لها استراتيجياتها وتطلعاتها تجاه العرب والمسلمين أيضا، وإن بقي هذا الدور خافيا على مستوى الأبحاث نظرا لندرة الدراسات التاريخية في هذا المجال، وهو ما يتناوله المؤلفان في القسم الأول تحت عنوان: «موسوليني وسحر الشرق». خصوصا وأن الاستشراق الإيطالي الحديث قد مثل الحاضنة الثقافية الداعمة للسياسات الاستعمارية الإيطالية تجاه العرب والمسلمين. فعلى ما يذكر الكتاب الذي نتولى عرضه «موسوليني والمسلمون» لمؤلفيه جانكارلو مازوكا وجانماركو والش، انضم ثلث من آباء الاستشراق الإيطالي إلى «لجنة المصالح الاستعمارية المكلفة بالشؤون الإسلامية» سنة ١٩١٤، كان من بينهم ليونه غايطاني وكارلو ألفونسو نلينو ودافيد سانتيلانه، اليهودي الديانة والتونسي الأصل، الذي عين سنة ١٩١٣ أستاذ التشريع الإسلامي في جامعة روما. وقد أورد المؤلفان في مستهل الكتاب، نقلا عن المؤرخ فلافيو سترিকা في بحث بعنوان: «كارلو ألفونسو نلينو ومشروع احتلال ليبيا»، في مجلة «حوليات» التابعة لكلية العلوم السياسية في كالياري سنة ١٩٨٣، أن المستشرق نلينو قد شارك في مجمل الاجتماعات واللجان التي قدمت المشورة للمستعمر الإيطالي بشأن القضايا الإسلامية إبان عزم السلطات مد نفوذها الاستعماري تجاه إفريقيا على غرار نظيراتها من الدول الاستعمارية.

ويعود مؤلفا كتاب «موسوليني والمسلمون» جانكارلو مازوكا وجانماركو والش بالحماس الجارف الذي استولى على الزعيم الفاشي بنيتو موسوليني للسير صوب البلاد العربية وإفريقيا إلى استلهاهم سياسات نابوليون المراوغة في مصر، التي زعم فيها أنه يجلب القرآن الكريم وأنه ما جاء إلى القاهرة إلا لتخليص المصريين من شر المماليك، وذلك في خطابه الشهير في الثاني من يوليو ١٧٩٨؛ بل يذهب الكاتبان في



ثلاثية الألوان سيعمّ السلام والرخاء وستراعى أعراف المسلمين ولاسيما دينهم ومعتقداتهم». ليعقب تلك الكلمة استقبال خيالة عرب موسوليني في واحة بوغارة وتسليمه «سيف الإسلام» من قبل يوسف خربيشة أحد أعيان الجهة، حينها أشهر موسوليني السيف عاليا وهو يمتطي صهوة جواد صادحا «إلى الأمام!». ليدخل بعدها طرابلس على صهوة جواد أيضا، ثم ألقى خطابه الذي وعد فيه الليبيين بالرخاء وذكر أن الملك فيتوريو إيمانويل هو من أرسله مجددا إلى ليبيا، مذكرا لليبيين أنهم هم من قلدوه «سيف الإسلام» وأن إيطاليا ضامنة الرفاه للمسلمين وحامية لهم، وأنه يتعاطف مع المسلمين في العالم بأسره ويحفظ اليهود. وفي السنة الموالية، حيث ألقى موسوليني خطابه، تم تشييد نصب تذكاري له. «سيف الإسلام» الذي أشهره موسوليني في ليبيا تبخر سنة ١٩٤٣ مع موجة مقاومة الفاشية، وبقي مصيره مجهولا إلى اليوم. وواقع أن ذلك السيف الذي تقلده موسوليني كان سيفاً مصنّعا في مدينة فلورانس الإيطالية، وما كان سيفاً من صنع الأهالي، غير أن الدعاية الفاشية رأت أن يكون الإخراج على تلك الشاكلة، وهو يماثل ما فعله موسوليني من تنصيب نفسه بنفسه حاميا للمسلمين.

وبوجه عام لا يفرق الكتاب في التأريخ السياسي، بل يحاول ربط تقرب موسوليني من العالم العربي ضمن إطار عام، كما يحاول مؤلفاه، قدر الإمكان، اعتماد المراجع في ما يوردانه من وقائع وروايات. يشفع المؤلفان الروايات التاريخية بجملة من الصور المهمة، تبدو ضرورية في هذا النوع من الكتابة، فضلا عن فهرس عام للأعلام.

نبذة عن المؤلفين:

جانكارلو مازوكا هو صحفي وباحث إيطالي من مواليد ١٩٤٨، شغل مديرا لعدة صحف إيطالية منها: «إيل ريسو ديل كارلينو» و«إيل جورنو»، كما نشر مجموعة من الأبحاث منها: «رواد الرأسمالية الإيطالية وأحفادها» ١٩٩٠، «سادة الإنترنت» ٢٠٠٠، «رفاق الدوتشي» ٢٠١١.

جانماركو والش هو ناشر إيطالي وباحث في التاريخ الحديث من مواليد ١٩٤٩، يهتم بالتحقيقات التاريخية وتجميع الوثائق.

الكتاب: موسوليني والمسلمون.. صفحات من تاريخ الفاشية والإسلام.

تأليف: جانكارلو مازوكا و جانماركو والش.

الناشر: منشورات موندادوري (ميلانو) «بالغة الإيطالية».

سنة النشر: ٢٠١٧.

عدد الصفحات: ٢٤١ ص.

\* أستاذ تونسي بجامعة روما



الكتاب اللبنانية، وحزب شبان مصر، والقمصان الخضر والقمصان الزرق في مصر، وجمعية كشافة «الجوالة». فالعلاقة التي حاول نسجها موسوليني بين الفاشية والمسلمين كانت قائمة بالأساس على أفكار وعلى مصالح مشتركة.

وفي خطوة لافتة للسياسة الدعائية الإيطالية، جرى تدشين «راديو باري» في السادس من سبتمبر ١٩٣٢ من قبل الدوق أميديو دي سافويا أوستا. ليتكثف في الفترة المتراوحة بين ١٩٣٤ و١٩٣٦ البث عبر الأثير الموجه نحو البلاد العربية، وذلك بإلحاح من الدوتشي، بوصفه أحد المتمرسين بالإعلام والدعاية لاشتغاله في العمل الصحفي قبل توليه مناصب سياسية. حيث عوّلت الفاشية أيما تعويل على البروباغندا من خلال إطلاق برامج عربية بهدف كسب العرب إلى صفها. وقد تولى موسوليني بنفسه، في العديد من المناسبات، شرح تلك السياسة التي تقف على نقيض السياسة البريطانية في المشرق من أمام ميكروفون الإذاعة قائلا: إن الأهداف التاريخية لإيطاليا تستهدف تحديدا آسيا وإفريقيا، الجنوب والشرق، ولا يتعلق الأمر بغزو استعماري للأراضي بل هو امتداد طبيعي أساسه التعاون بين إيطاليا وأمم الشرق، وإيطاليا بمقدورها فعل ذلك، فموقعها بين الشرق والغرب يكفل لها ذلك الدور (كلمة ملقاة في الرابع من فبراير ١٩٢٥).

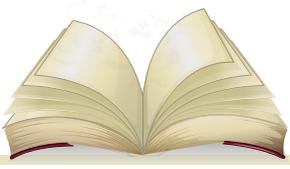
وفي القسم الرابع والأخير من الكتاب يتعرض المؤلفان إلى زيارة موسوليني لليبيا. فقد حفّت بنزول الزعيم الفاشي بمدينة طبرق في الثاني عشر من مارس ١٩٣٧ هالة كبيرة من البهجة، استعدادا لتقليده «سيف الإسلام» في حفل نظمه والي طرابلس حينها إيتالو بالبو. وفي خطاب موسوليني أمام حشود المعمرين الإيطاليين توجه بعبارات مقتضية للأهالي الليبيين أصحاب الأرض قائلا: «يعرف الأهالي المسلمون، أنه في ظل الراية الإيطالية

والإيطالية والعبرية (ص: ٩٣).

لكن سياسة الدعاية جرى تبنيها بإصرار من قبل القوميين الإيطاليين، وقد حضرت آثارها بقوة في تصريحات الكاتب والسياسي الإيطالي أنريكو كوزاديني، الذي أصرّ على أن ليبيا تنعم بأراض خصيبة وثروات منجمية وفيرة، ويمكن أن تكون مستعمرة استيطانية وليس مصدرا للاستغلال الخاطف فحسب. فحاول دفع البرجوازية والبروليتاريا والحكومة في ذلك الخيار. فاحتلال طرابلس، بالنسبة إليه، ستكون له آثار معنوية، وسيغلق «التطاحن الطبقي الذي يستنزف الأمة الإيطالية». كما شاع حافظ آخر للذهاب إلى بلاد المغرب متمثلا في نداء الماضي، نداء روما الإمبراطوري، الذي كانت تونس وليبيا إحدى مجالاته الغنية بوصفها مطمورة روما (ص: ١٠١).

لكن فضلا عن الاستعداد السياسي وتحشيد الرأي العام الشعبي، فقد اقترن ذلك بدعامات عملية. كانت إيطاليا تُسبِر أنشطة متنوعة في ليبيا، تركزت بالأساس على تجميع المعلومات العسكرية، وعلى نسج علاقات مع قادة العشائر والقبائل، خصوصا ممن لا تربطهم روابط متينة بالسلطنة العثمانية، مثل حسونة قرامنلي. وبدءا من العام ١٩٠٧ بدأ تسرب اقتصادي فعلي تكفل به «بنك روما»، بعد أن افتتح فروعا ووكالات تجارية في سبع عشرة مدينة، فضلا عن رعاية أنشطة صناعية هامة، قوامها مطاحن عصرية، ومعاصر للزيت، ومصانع للثلج، ومحاجر، وشركات فلاحية ومطابع.

في القسم الثالث من الكتاب وتحت عنوان: «الآلة الاستعمارية النشيطة»، يورد المؤلفان: في الفترة التي استتبّ فيها الأمر للفاشية وعقدت جملة من الاتفاقات مع دول الجوار، بلغت أوجها بالتحالف الاستراتيجي مع النازية، لم تقتصر سياسة موسوليني مع العالم العربي على توطيد استثمار ليبيا والتمدد صوب الصومال وأثيوبيا والتطلع لجعل اليمن - زمن الإمام يحيى - تحت الحماية الإيطالية فحسب؛ بل حاول الزعيم الفاشي استمالة العرب واستغلال حالة الصراع العربي الإسرائيلي بشأن فلسطين، فسعى موسوليني جاهدا للتقرب من مفتي القدس الحاج أمين الحسيني ودعاها إلى زيارة ميلانو في مارس ١٩٤٢. كما حاول في البدء توظيف القوانين العنصرية الصادرة ضد اليهود واستمالة العرب إلى صفه، وذلك عبر تمديد تلك القوانين العنصرية إلى ليبيا، وغيرها من أشكال المراوغة التي انتهجها موسوليني تجاه العرب مثل سماحه للمسلمين باكتساب الجنسية الإيطالية شريطة الولاء المطلق لإيطاليا. حتى أن بعض التشكيلات السياسية العربية، وفق ما يورد مؤلفا كتاب «موسوليني والمسلمون» (ص: ٢١٣)، نظرت إلى الزعيم الفاشي نظرة إعجاب وإكبار. حيث يرصد المؤلفان ظهور بعض التشكيلات العربية مستلهمة الإيديولوجيا الفاشية لموسوليني مثل:



# رومانسية الاتحاد السوفيتي.. وطفولتنا الجميلة لفيودر رازاكوف

أحمد الرحبي \*

«الأفضلية للأطفال» - هذا واحد من أعتى شعارات الاتحاد السوفيتي وأعلاها شأواً في المحيط المجتمعي للدولة الغاربية. كانت الأقمشة واللافاتات تزدهو بهاتين الكلمتين وتترزين بها القاعات والساحات والأماكن العامة ومرافق رعاية الأطفال في البلاد قاطبة. كما تضمن هذا الشعار تقارير المسؤولين في الدولة وتصدر خطبهم وكان ركنا أساسيا في معاملة الأطفال داخل الأسر. «الطفولة السوفيتية السعيدة» - وهذه عبارة أخرى خرجت من رحم الدولة السوفيتية وتحولت إلى نوع من الكليشات لا يفقده الزمن أهميته وجاذبيته كما هو حاصل في روسيا الحديثة، حيث الحنين إلى الحياة السوفيتية يتكشف أحيانا كاتكشاف نافذة على فردوس مفقود. فما هي سمات الطفولة السوفيتية السعيدة؟ للإجابة عن هذا السؤال قام الصحفي الروسي الشهير فيودر رازاكوف برصد مفصل لكل المراحل العمرية للفرد السوفيتي، منذ ازدياده في مستشفى الولادة وحتى انضمامه إلى الحزب الشيوعي.

الشبكة العنكبوتية. وفيما يلي نخبة من عناوين الفصول التي تعبر عن مزاج الفترة السوفيتية: «مرحى للمدرسة»، «رياضة أطفالنا»، «اللعبة»، «أدب الأطفال»، «شرائط فلمية»، «تلفزيون الأطفال»، «ألد بوضة في العالم»، «مسرح الطفل»، «سينما طفولتنا»، «السيرك». حازت السينما السوفيتية للأطفال والشباب مساحة كبيرة من الكتاب، ولا غرو في ذلك، إذ تعد السينما واحدة من الوسائل الأكثر قدرة على توجيه المجتمع وبت الأفكار في أوصاله. وقد شهدت السينما السوفيتية الموجهة لفئة الأطفال طفرة كبيرة منذ السنوات الأولى لقيام النظام الاشتراكي حيث بلغ عدد الأفلام المنتجة في العام الواحد ثلاثين فيلما مختلفة الأنواع. وفي أواخر سنوات العهد السوفيتي تقلص العدد إلى أحد عشر فيلما مع جودة فنية وفكرية متدنية في معظم هذه الأفلام. وبهذا الصدد يقول الكاتب: «ثمة سبب مقنع لذلك إذ كانت البلاد تخطو سريعا نحو الانهيار الشامل، وفي مثل هذه الظروف لا يهتم أحد بسينما الأطفال والشباب. في ذلك الوقت كان الغد الرأسمالي «السعيد» بانتظار أطفالنا السوفيت حيث تتولى فيه هوليوود والانترنت كل الوظائف التعليمية وتحل محل الأفلام المحلية للأطفال، تلك الأفلام التي دمرها الديمقراطيون» (ص 270).

وفي هذا الفصل يُجري الكاتب تحليلا مقارنا للتحويلات التي دمغت سينما الأطفال في الاتحاد السوفيتي في مراحلها الأولى حين احتوت الأفلام مشاعر التفاؤل وحب الوطن، وفي مراحلها المتأخرة حيث خفت روح الوطنية في هذه السينما وتراجع دورها التعليمي واكتنفت مواضيعها الرمزية

النظام المحافظ، وأن الاتحاد السوفيتي السابق - رغم كل شيء - لا يشير أية مشاعر سلبية عند السواد الأعظم من الناس» (ص 6). ويشير المؤلف إلى مفارقة غريبة اكتنفت هذه الإحصاءات السوسيوولوجية، فعلى الرغم من الفترة الزمنية التي تفصلنا عن الاتحاد السوفياتي (مر على زواله 26 عاما) وانخفاض أعداد الناس الذين يحتفظون بذكرى عن تلك الحقبة بسبب الوفاة، إلا أن الحنين إلى الزمن السوفيتي ما برح ينمو في المجتمع الروسي ويتأجج سنة تلو أخرى. ونجد أن نسبة الحالمين بعودة الزمن السوفيتي قبل عشر سنوات قد بلغ 29%. فلماذا يحدث هذا؟ يتساءل الكاتب ومن ثم يصيغ إجابته على النحو التالي: ثمة فئة من الناس انضمت إلى صفوف المتحمسين لعودة الزمن الماضي، وهذه هي الفئة التي، وبعد أن ذاقت طعم المسرات الرأسمالية، فقدت الثقة بها وأصبحت تتذكر الماضي السوفيتي بحب واعتزاز. الفئة الثانية هي فئة الشباب الذين رأوا في الاتحاد السوفيتي، وبشكل مفاجئ، نفس الجنة التي رآها المراهقون السوفيت في سبعينيات القرن الماضي والتي تجسدت في الحلم الأمريكي. ويبيد الكاتب استغرابه ودهشته من قطاع الشباب الذين لم يعيشوا في الاتحاد السوفيتي قط إذ ولدوا بعد انهياره بيد أنهم يضمنون بين جوانحهم حنيننا إليه.

يتجزأ الكتاب إلى أربعة وعشرين فصلا، يتضمن كل منها ظاهرة اجتماعية معينة من ظواهر الطفولة السوفيتية. ولم تكن خواطر المؤلف وذكرياته الشخصية بمنأى عن التوارد في صفحات الكتاب جنبا إلى جنب التعليقات التي جمعها الباحث من الإنترنت لشرائح مختلفة من رواد

ومن هذا المنحى يقدم العمل نفسه كموسوعة للطفولة السوفيتية إذ جمع فيه المؤلف تفاصيل من الحياة المادية والأخلاقية والروحية للطفل السوفيتي، ومن خلال مطالعة الكتاب، سيتسنى للمتلقي تقييم حياة الطفل السوفيتي والاستنتاج إن كانت جميلة (كما يشير عنوان الكتاب) أم أنها غير ذلك.

يفضي بنا المؤلف عبر كتابه إلى حقبة استثنائية من التاريخ الروسي الحديث ويغمرنا بذكريات عن الطفولة السوفيتية، أفراحها وأتراحها والتحديات التي واجهتها والإجراءات التي اتخذتها الدولة لجعل الطفولة ظاهرة اجتماعية خاصة، وهي ظاهرة انقضى أجلها بزوال الاتحاد السوفيتي. ومنذ سطره الأولى يتخذ الكاتب موقفا حازما من التغيير الجذري الذي طرأ على رعاية الطفولة في روسيا الراهنة، فيشير إلى الجوانب التي تعوز الدولة الحديثة لتوفير حماية لازمة وحقيقية للطفل لا سيما ما يتعلق بإقرار المعايير الأخلاقية الموجبة والضامنة لطفولة صحية. يقول في مقدمة الكتاب: «أكثر من عشرين عاما على سقوط الاتحاد السوفيتي ما انفك فيه الإعلام الليبرالي يصور النظام السوفيتي باعتباره جريمة كبرى في حق الإنسانية، معولا على كثافة الدعائية في التأثير على الوعي الجمعي للشعب. ولكن اتضح أن النتيجة جاءت عكس ذلك تماما. فاستنادا إلى استطلاعات للرأي أجريت في السنوات الأخيرة في روسيا ارتسمت أمام القوى الليبرالية هذه الصورة الكئيبة: إن أفضل حاكم روسي هو ليونيد بريجنيف (الزعيم السوفيتي بين أعوام 1964-1982). وتشير هذه النتيجة بوضوح إلى أن الشعب لا يرغب في نظام ليبرالي «تجديدي» ويفضل عليه



الاتحاد السوفياتي: مخيم «آرتيك» الذي كان أكثر رواه أطفال أجانب. يقول الكاتب في هذا الصد: «بعد انهيار الاتحاد السوفياتي فقد «آرتيك» مجده السابق. بادئ ذي بدء رفضوا المكون الإيديولوجي في التعليم وأحلوا مكانه ما يعرف بالوظيفة التواصلية. ومع الانخفاض في المستوى المهني لمستشاري المخيم، انخفض تدريجيا المستوى العام في العمل التربوي. اليوم يقتصر دور المرشد والمربي في كثير من الأحيان على الأنشطة الترفيهية لا غير. (ص ٨٦).

وفيما يتعلق بوضع الرياضة في الاتحاد السوفياتي ومقارنتها بروسيا الجديدة يرسم المؤلف صورة واقعية تستند إلى عدد الإنجازات العالمية التي تحققت في العهد السابق وما يقابلها من إنجازات الحاضر. يقول عن ذلك: «بفضل اهتمام الدولة بالشباب والرياضة كان الهوكي السوفياتي هو الأقوى في العالم. اليوم تضععت هذه القوة وهو ما يبدو على نتائج لاعبيننا في الساحة الدولية. ففي السنوات الثلاثة والعشرين الماضية التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفياتي أحرزنا أربع ميداليات ذهبية في بطولة العالم للهوكي لا غير. أما في دورة الألعاب الأولمبية الشتوية فلا نزال من دون أي ميدالية وذلك منذ العام ١٩٩٢ (...). وفي آذار/ مارس من عام ٢٠١٤ كان فشل آخر ينتظرنا في هذه اللعبة، وذلك ضمن الألعاب الأولمبية المنزلية في مدينة سوتشي (الروسية). حينها قال أحد المدربين المشهورين: «علينا أن نتعامل مع ما يحدث بدءا من المدارس الرياضية للأطفال. فلأسف لا يتم الاختيار فيها على أساس المواهب وإنما على مقدر الأسرة على الدفع. أولئك الأطفال يلعبون اليوم في فريقنا، وهذه هي النتيجة التي نحصل عليها» (ص ١٢٧).

ختاما يتجاوز هذا الكتاب التغني بالماضي التليد وإحصاء إنجازاته فتتوارد على صفحاته موجة من الانتقادات اللاذعة للمجتمع الروسي الحديث، ويدعو - بصريح العبارة - إلى إعادة التفكير العميق في مسألة تربية الأجيال والرؤية للمستقبل، كما يؤكد على أهمية الحفاظ على الجانب الإيجابي من التركيبة السوفياتية العتيبة وعدم إهدارها مقابل حزمة من الأوهام.

الكتاب. رومانسية الاتحاد السوفياتي.. طفولتنا الجميلة.

المؤلف: فيودر رازاكوف.

الناشر: ألفوريتيم، موسكو ٢٠١٧.

اللغة: الروسية.

عدد الصفحات: ٣٥٢ صفحة.

كاتب عماني

\* كاتب عماني



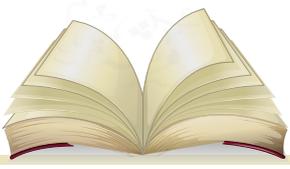
لإعادة التدوير، أما الإنجازات الكبرى التي سجلتها كشافة الاتحاد السوفياتي يذكر منها جمع آلاف الأطنان من الخردة المعدنية لبناء خط أنابيب النفط «الصدافة» وزراعة نحو مائة مليون شجرة في مختلف أرجاء البلاد. كما حظيت المخيمات الصيفية باهتمام بالغ من قبل الدولة وأُنيطت بها أدوار محورية لتنشئة الأطفال فكانت بمثابة مؤسسات صحية وتعليمية متكاملة. وتشير الأرقام إلى الشعبية الكبيرة لهذه المخيمات حيث بلغ عددها أربعين ألفا في عهد الرئيس السوفياتي ليونيد برجنيف وكان يستخدمها سنويا أكثر من تسعة ملايين طفل.

وفي سبيل المقارنة بين الماضي والحاضر يعرض الباحث نخبة من آراء وذكريات مواطنين عاديين يشدهم الحنين إلى الماضي السوفياتي وما انطوى عليه من عدالة اجتماعية راسخة لم تعد موجودة (برأيهم) في الوقت الراهن. يقول أحدهم: «لقد بُني هذا المخيم في مصنع سيفاستوبول البحري. وكان بإمكان أي طفل أن يلتحق به سواء كان طفلا لمدير شركة أو لعامل نظافة والبقاء فيه طيلة العطلة الصيفية إذا رغب في ذلك، أما التكلفة فكانت تقريبا مجانية. كان الأطفال يتوافدون إلى المخيم من المدن الأخرى. بعد انهيار الاتحاد السوفياتي قام بعض النافذين بإعلان إفلاس المصنع، وذلك من أجل الاستحواذ على مرافقه الترفيهية المطلة على الشاطئ الجنوبي من شبه جزيرة القرم، والتي كان يستخدمها المصنع لترفيه عماله وأسرههم ومن بينها هذا المخيم. لقد نجح النشور في تحقيق غايتهم وأفلسوا المخيم واستولوا على ملكيته. الآن تبلغ تكلفة الاستجمام للطفل الواحد ألفا وخمسمائة يورو (...). وهذا ما يسمونه اقتصاد السوق» (ص ٧٦-٧٧).

لا يقل بؤسا مصير أكبر مخيم للأطفال في

والتجريدية. في فصل «الحلويات السوفياتية» يتوقف المؤلف عند إنجازات الصناعة الغذائية المحلية التي عُرفت بمستوى انضباطها العالي وانتفاها من المواد المُصنعة وغير الطبيعية. ويتطرق الكاتب في هذا الفصل الشيق إلى ظاهرة الاندهاش بأي شيء غربي في الفترة المتأخرة من الاتحاد السوفياتي حيث بلغ مداها أحيانا إلى مستويات تفوق الخيال، وحيث استطاع المظهر الخارجي للمنتج الأجنبي أن يبلبل أدمغة المستهلكين السوفيت، بل وأكثر من ذلك إذ شهد الناس حوادث مأساوية جراء التدافع على اقتناء البضاعة الأجنبية كما حدث في واقعة العلكة؛ فلعقود طويلة مُنعت العلكة من الاستهلاك في الاتحاد السوفياتي، وصنفت كمنتج ضار صحيا وغير لائق سلوكيا. يقول الكاتب: «ظهرت عادة مضغ العلكة أول الأمر في خريف عام ١٩٧٢ وذلك عقب أول مباريات للهوكي بين الاتحاد السوفياتي والمنتخب الكندي التي تم بثها مباشرة على التلفزة. كان العديد من لاعبي المنتخب الكندي يمضغون العلكة ما رسم صورة براقية لدى الشبيبة السوفيت. وفي وقت لاحق دفعت مباريات الهوكي مع الكنديين الحكومة السوفياتية إلى الرضوخ لإنتاج العلكة فكانت البداية، ولكنها بداية مأساوية. لقد انضم إلى طاقم المنتخب الكندي ممثلون عن شركات صناعة العلكة حيث قاموا بمنح كل لاعب من لاعبي المنتخب خمسة عشر كيلو غراما من العلكة للترويج لها، وأدرج يوم توزيع العلكة مجانا ضمن برنامج إقامة المنتخب (...). كان ذلك حدثا كبيرا للمراهقين السوفيت لما كان للعلكة نفسها من تصور غريب ومغر، فهرعوا إلى مكان الفعالية هروع الحمام على الخبز المنثور، وانبرى الكنديون لتصوير الحدث لاستخدامه (فيما يبدو) للدعاية ضد الاتحاد السوفياتي (...). أما نتيجة الفعالية فكانت مروعة حيث توفيت جراء التدافع واحد وعشرون شخصا من بينهم ثلاثة عشر دون عمر ستة عشر عاما» (ص ٢١١-٢١٥).

يُفرد المؤلف مساحة من كتابه لعمل اللجان العامة والمؤسسات الاجتماعية للأطفال التي كانت متوفرة في العهد السوفياتي، مشيرا إلى فعاليتها لتوحيد الطلبة وإرشادهم ليس فقط من منطلق أيديولوجي محض وإنما لدفعهم إلى عمل مفيد اجتماعيا وتجنبيهم العطالة الفكرية وما ينتج عنها من شرور أخلاقية. وقد انتظمت أنشطة الأطفال والشبيبة السوفياتية في منظمة كشفية يديرها المعلمون والتلامذة وتتبلور أعمالها في سلسلة أنشطة ومسابقات تقام خلال العام الدراسي وفي الإجازات أيضا؛ حيث انتشرت المخيمات الصيفية للطلبة. ومن الأعمال التي زاولها التلاميذ في المخيمات: بناء بيوت الأغذية للطيور وتنظيف الساحات وجمع المواد القابلة



# الناس أولاً: قوة مون جيه إن

د. محمود عبد الغفار \*

تصدر غلاف الكتاب صورة الرئيس الكوري الجنوبي «مون جيه إن» الذي تم انتخابه في مايو هذا العام بعد تهمة بالفساد أدت إلى عزل الرئيسة السابقة «باك كون هيه» وسجنها. بابتسامته المعهودة، وبعادة الكوريين في تغطية الأفواه احتراماً وتأدباً عند الضحك، وبعبارة مأخوذة من شعاره في الانتخابات «الناس أو الشعب أولاً» يأتي هذا الكتاب الذي يحمل العنوان الفرعي كذلك إشارة إلى محتواه: «قوة مون جيه إن»، فالكتاب تجميع لأهم الأفكار والعبارات التي ألقاها الرئيس الكوري الحالي خلال تدهينه لحملة الانتخابية الأولى عام ٢٠١٢م، وهي السنة التي شهدت الطبعة الأولى لهذا الكتاب، وفي شهر يوليو تحديداً. ونظراً للاهتمام الكبير الذي لاقاه من جانب القراء فقد ظهر في طبعة جديدة لأمرين أساسيين: الأول هو أن ما قاله مون جيه إن قبل سنوات ينتظر الناس الذين كان يقصدهم في كلامه تنفيذه الآن. والثاني هو العودة للعبارات التي قالها وبيان قيمتها ودورها في شعبيته الكبيرة التي مكنته من بلوغ كرسي الرئاسة في مايو هذا العام. ويبقى من أهم ما قاله تلك العبارة الشهيرة: «الشعب أو الناس أولاً»، فهو يريد أن يكون رئيساً حقيقياً لكل الكوريين وبخاصة الفئات العادية الكادحة التي قد لا يلتفت إليها كثير من رجال السياسة.

لمحافظة بوسان في دورة الانتخاب رقم تسعة عشر، كما ترأس حزب «مين جو». تم انتخابه ليكون الرئيس التاسع عشر لكوريا الجنوبية في مايو ٢٠١٧م. الكتاب باختصار مقولات مجمعة لهذا الرئيس تم تقسيمها حسب محتواها إلى ثلاثة أقسام سنستعرض أهمها في السطور التالية:

القسم الأول تحت عنوان «مستقبل السياسات»:

«أنتم أيها الشباب تجدون صعوبة هذه الأيام في الدراسة؟ أعلّكم أن تدرسوا كثيراً؟ سأجعل العالم الذي تعيشون فيه أقل تكديساً بأعباء الدراسة المرهقة.»

«النهاية هي البداية:» «سأجعل الناس تعيش العالم الذي حلمت به، وسأجعل الدولة تتعامل مع المواطن كأولوية أولى قبل أي شيء آخر. إنها البداية الآن، حيث الدولة هي المركز الذي يملكه الناس؛ الناس وحدهم ولا أحد غيرهم.»

«السبب وراء خوض غمار السياسة:» «درجنا على رؤية السياسة تدور في حلقة مفرغة من الانتقام المتبادل بين السياسيين والأحزاب السياسية بالطبع في لعبة لا علاقة لها من قريب أو بعيد بعامية الناس وتفاصيل حياتهم، بل إن هؤلاء العامة يتحولون لوقود مستهلك في تلك الدوائر.»

«أعلن ترشيحي:» «سنسلك الحائط معاً متشابكي الأيدي؛ حائط الامتيازات والحصانات الخاصة،

وكمدافع عن حقوق الإنسان في مدينة بوسان. تم اعتقاله في أحداث ثورة الثامن عشر من مايو عام ١٩٨٠م، تلك الثورة التي أطاحت بالحكم الدكتاتوري في كوريا ومهدت لميلاد دولة مدنية حديثة يتم تداول السلطة فيها بشكل سلمي ولا أدل على ذلك مما حدث مع مون جيه إن نفسه. فقد انتفض الشعب ضد الرئيسة السابقة وتم إدانتها وسجنها وانتخاب رئيس جديد دون إراقة دماء. أنهى دراسات خاصة بمعهد بحوث وتدريب القضاة عام ١٩٨٢م وجاء في المركز الثاني بين الدارسين لكن ما ورد في صحيفة حالته الجنائية بشأن اعتقاله حرمه من تولي وظيفة القضاء فاتجه للمحاماة متولياً الدفاع عن حقوق الإنسان. وخلال تلك الفترة حتى عام ١٩٩٠م تولى عدة قضايا شهيرة مثل جامعة دونغ جي وقضايا أخرى كانت متعلقة بما جرى من أحداث في كوريا. خلال عمله في بوسان التقى بالرئيس السابق «نو مو هيون» الذي كان محافظاً للمدينة آنذاك. التحق للعمل بالبيت الأزرق متولياً رئاسة السياسات المدنية. اعتذر عن ذلك المنصب لظروف صحية ثم عاد إلى البيت الأزرق من جديد عام ٢٠٠٥م مع الرئيس نو مو هيون ليتولى رئاسة شؤون المجتمع المدني وليكون السكرتير الأول للرئيس، كما عاد لممارسة نشاطه السياسي فيما بعد. كان عضواً بلجنة الانتخابات الوطنية

ركزت مقدمة الكتاب على بيان سبب نشره. فهو تجميع قد يحمل بُعداً توثيقياً لأهم ما قاله مون جيه إن قبل بلوغ منصب الرئاسة، وأهم ما ذكره خلال قيامه بالعديد من الأنشطة في مجال السياسة، وما قاله أيضاً في المقابلات الإعلامية المختلفة بشأن تطلعاته نحو تأسيس كوريا جنوبية جديدة مستفيداً من مخزون كبير من المعارف والخبرات العديدة التي اكتسبها. كما ركزت أيضاً على التأكيد أن الهدف من الكتاب هو الكشف عن سبب اتخاذ مون جيه إن قراره بالترشح للرئاسة منطلقاً من قناعة خاصة وحقيقية بضرورة إجراء تغييرات جذرية على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلده. ولهذا يتضمن الكتاب كل ما يتعلق بتفسيراته لمواقف معينة وطموحاته وبرامجه المتعلقة بتحرير الاقتصاد من أي تبعية وإحداث ثورة في مجالي التعليم والتوظيف. ما قاله وما تصوره وتطلع إليه كان سبباً في اهتمام كبير حظي به من الشارع الكوري مما جعله يتلقى تعليقات متميزة من القراء والمتابعين مقارنة بغيره من مرشحي الرئاسة آنذاك. كما رسمت مقدمة الكتاب صورة بانورامية لشخصية مون جيه إن المولود عام ١٩٥٣م بمقاطعة جونج نام، وخريج كلية الحقوق جامعة جونج هيه، كما عرفت بخلفياته وأنشطته السياسية والاجتماعية العديدة كناشط سياسي



- ثورة في مجال التوظيف: «تصوري لفكرة الثورة في مجال التوظيف ليس بخلق وظائف جديدة وإنما في تغيير المفهوم نفسه. فسوف تتغير الوظائف في بلدنا بشكل مقنع وبحد أدنى نحو ثلاثة معايير: الأجر القانوني، والتأمين الاجتماعي، ومعدل العمل القياسي.»

- مقياس العلاقة بين العمل ورأس المال هو الأشخاص: «سيكون الهدف دائماً هو أن تقوم هذه العلاقة على الحوار والتفاوض في إطار القانون وحده.»

- حرية الصحافة: «سيكون هناك توازن ملموس وحرية حقيقية منوطة للصحافة والإعلام. فقرة الحكم أو السلطة من واجباتها أن تضمن حرية الصحافة والإعلام بشكل عام بما يرتقي للمستوى الذي يستحقه الشعب.»

- المنزل أيضاً رخاء ورفاهية: «مع تشجيع الاقتصاد الذي يحقق الرفاهية للجميع لن نتغافل عن الاهتمام بتضيق أسعار معقولة للمنازل حتى يتسنى للناس امتلاكها. فالمنزل أيضاً رفاهية.»

- التجهيزات الخاصة بكبار السن: «لا يمكن لأحد أن يوقف تقدم الناس في العمر. سأحرص على أن ينعم كبار السن بكل الرفاهية وأن ينالوا فرصاً في التوظيف. فالبلد الذي يعيش فيه كبار السن سعداء يكون بلداً سعيداً.»

- المرأة أيضاً مستقبل: «ستدخل المرأة إلى المجتمع من أوسع الأبواب عندما لا يكون عليها أن تختار بين أمرين لا ثالث لهما: البيت أو العمل.»

- وطن للأطفال: «أن يتمتع أطفالنا بالصحة وأن يكبروا في جو صحي على كافة المستويات هو أفضل استثمار للمستقبل.»

- الناس أولاً أيضاً في التعليم: «تربية الأطفال وتعليمهم ليس مسؤولية شخصية موكلة إلى الوالدين في المنزل، إنها مسؤولية الدولة والمجتمع في الوقت نفسه. هذا هو السبب في أن الأطفال الذين يخسرون أحد السباقات في حاجة إلى التشجيع ليحلّموا حلمًا أكبر!»

عنوان الكتاب: الناس أولاً؛ قوة

الكاتب: مون جيه إن

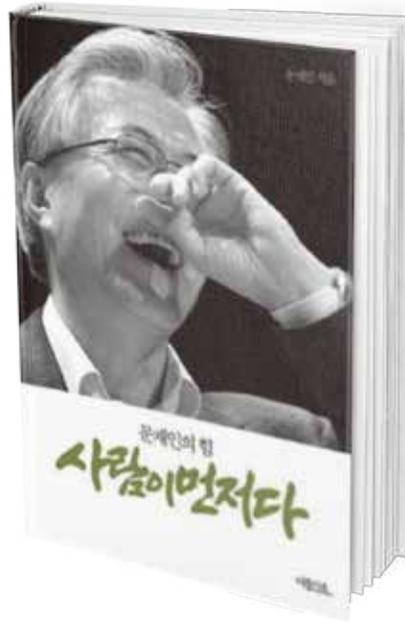
الناشر: بريل كاو

سنة النشر: طبعة ثانية 2017 م

عدد الصفحات: 352

اللغة: الكورية

\* مدرس الأدب الحديث والمقارن بكلية الآداب- جامعة القاهرة



لبلدين.»

القسم الثاني تحت عنوان «المستقبل الاقتصادي»:

- مستقبل الاقتصاد: «في الطريق نحو اقتصاد ديمقراطي بكل ما تعنيه الكلمة نحن في حاجة إلى تقريب الفجوة التنافسية المتسعة عبر اقتصاد يحقق الرفاهية للجميع دون استثناءات. هذا الطريق هو وحده القادر على تقليص تلك الفجوة بالاعتماد على استثمار المال العام.»

- الاقتصاد الاجتماعي وثلاثة عصافير بحجر واحد: «إنه بكل بساطة اقتصاد لا يسعى لثراء مادي وإنما يضع في أولوياته التعاون الاقتصادي والاجتماعي البناء. قد يبدو المسمى غريباً بعض الشيء- الاقتصاد الاجتماعي- لكن الهدف على أية حال هو تحقيق التعاون المثمر اقتصادياً واجتماعياً.»

- التكنولوجيا العلمية هي التحدي الحقيقي لهذا البلد: «على كوريا الجنوبية أن تولي اهتماماً خاصاً بالعاملين في مجالات البحث العلمي وتقديرهم على المستويات كافة.»

- على الزراعة أن تظل حية: «ليس هناك أدنى احتمال للتخلي عن الزراعة تحت أي ظروف وبخاصة زراعة ما نحتاج إليه من المواد الغذائية.»

- إدارة الأموال من منطلق أساسي: «لا يجب على البنوك مثلاً أن تُدار كما لو كانت سبباً أو لعبة في أيدي السياسيين لإخضاع الناس الذين هم ملاكها الحقيقيون.»

- «ليس هناك استثناءات أمام تحصيل الضرائب، وليس هناك أي توجه للتخلي عن الفقراء وتأمين معيشتهم في مساكن يمتلكونها بالفعل.»

القسم الثالث والأخير من الكتاب تحت عنوان «مستقبل المجتمع»:

حائط التمييز والتقسيم لنسقط كل هذا ونجتاز حائط الانهزامية ونفتح باباً جديداً لعالم جديد معاً.»

- السياسات الخاصة هي المستقبل: «السياسات الجديدة نتاج لنظام جيد وليس بالضرورة نتاجاً لسياسة جيدين. أما السياسة الحكيمة فيمكنها أن تصنع المستقبل.»

- مستقبل السياسة. وتحت عنوان فرعي يقول «العين ترى روح العصر» تأتي مقولة مهمة للرئيس مون جيه إن: «لقد تركزت الثروات وتحقق النمو لعدد قليل جداً من أفراد مجتمعنا. يرى كثيرون أن هذا المجتمع منقسم الآن إلى شريحتين بنسبة 1% إلى 99%، ويمكنني القول إن هذه النسبة، وبفضل جهودنا معاً، ستكون 0,1% إلى 99,9%.»

- سياسة المزج والتعايش ممكنة: «يمكن تحقيق المزج والتعايش ليس في إطار السياسة فحسب، بل في خلق حالة ثقافية عامة يكون فيها المجتمع قادراً على التجمع والتعايش والاندماج في كل الأحوال وتحت أي ظروف وفي كافة المجالات. هناك ثقافة تنافس فرضتها السياسة وفرضها الاقتصاد وانتقلت لكل مجالات الحياة وعلينا الآن أن نتجاوزها نحو الاندماج لا التنافس والتعايش لا التنافر.»

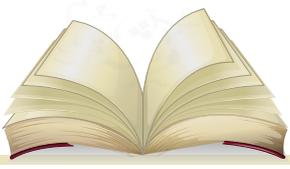
- الإقليمية والتغلب على الصراعات: «إنه لمن المخجل التصريح بأننا نحن السياسيين لا نعمل لأجل أوطاننا بقدر ما نعمل لأحزابنا وللمناطق التي منحنا أفرادها أصواتهم في الانتخابات لنصبح ساسة بعد ذلك. لقد صوتوا لهذا المرشح أو ذاك لأنه ابن منطقتهم وهو أمر يجعل الوطن مقسماً باستمرار.»

- أهمية الملاحقات القضائية: «يجب أن يبقى القضاء مستقلاً وقوياً، ويجب وضع كل الضوابط التي تجعله نزيهاً وتمكنه من القيام بعمله حتى داخل البيت الأزرق نفسه وبدون أي عوائق.»

- سياسة رائعة: «سأحافظ على علاقات كوريا الجنوبية مع الولايات المتحدة الأمريكية، وفي الوقت نفسه سأفتح الملفات الشائكة مع اليابان ولن أتجاهلها.»

- أمن قوي: «سأعمل على توفير مستويات أمن رفيعة عبر نظام يكفل تحققها على المستويين الداخلي والخارجي.»

- الشمال والجنوب والسلام: «لقد وصلت العلاقات بين الكوريتين لطرق مسدودة مؤخراً وعلينا أن نمضي قدماً نحو تحسينها من خلال تعاون اقتصادي قوي يحقق نمواً اقتصادياً



# من الأرجنتين إلى المغرب: جولة واسعة في مناطق الحماية الإسبانية والفرنسية لـ: أدريان باتروني

كلثوم بوطالب \*

يطل علينا معهد الدراسات الإسبانية البرتغالية التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط وجامعة محمد الخامس بالرباط ومنشورات جامعة روساريو الوطنية، بكتاب رحلي مهم جداً، هو «من الأرجنتين إلى المغرب، جولة واسعة في مناطق الحماية الإسبانية والفرنسية» للرحالة أدريان باتروني (Adrián Patroni). ويقدم المؤلف في كتابه هذا نظرة فريدة واستثنائية عن المغرب والمغاربة، بصفته رحالة قادته رحلته من الأرجنتين إلى المغرب مروراً بمحطات عدة. تكمن أهمية هذه الرحلة في أن رؤية العالم فيه صادرة عن صحفي وباحث أرجنتيني، ينتمي إلى نوعية خاصة من الاستشراق الذي تنتفي عنه صفة الاستعمارية كونه استشراقاً لم يكن لدى رواده أطماع إمبريالية في المغرب، وفي أن بلدانه الأصلية نفسها كانت ضحية للهجمة الاستعمارية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إضافة إلى أن المؤلف هو رحالة وسائح عالمي. وكان هدف المؤلف أساساً من السفر إلى المغرب هو وضع مقارنات بين مناطق الحماية الفرنسية والإسبانية في المغرب، مناشداً الرحالة والسياح من أبناء وطنه التطلع لعيش هذه التجربة الفريدة.

الرحلة، من بينها مجموعة من القضايا التي لا تخلو من الوصف كوصف السوق والزي الرجالي والنسائي، والعادات والتقاليد والدين إضافة إلى الخصائص الظاهرية للتسمية القديحة للمغربي -مورو-، وغيرها من الثيمات المؤسسة لهذا النوع من الكتابة. ما هي المجالات المهمة التي يمكن أن يضعها مستشرق ورحالة أرجنتيني تحت مجهر الملاحظة؟ وهل هذه المجالات تعطي صور دقيقة عن الشرق والغرب الإسلامي؟

ذلك ما يحاول الكاتب معالجته في نصح. فالكتاب يتألف من مقدمة مطوّلة ومركزة تحاول فيها محررة المقدمة الأستاذة سيلفيا مونتينغرو (Sivia Montenegro) أن تقدم مادة كتاب الرحالة الأرجنتيني أدريان باتروني وبعض الشيفرات التي قد توجه القارئ لقراءته. إضافة إلى مجموعة من العناوين التي تبين مسار رحلته في المغرب والمناطق التي زارها. ومن وجهة نظري يمكن أن أوزع فصول هذا الكتاب على ثلاثة مستويات، الشيء الذي توضحه عناوين فصول الكتاب: ١- مستوى استعماري، ٢- ومستوى ثقافي أنثروبولوجي. ٣- ومستوى عقائدي ديني.

أما النسبة للمستوى الاستعماري فقد خصص الكاتب الفصل الأول بعنوان «الحماية الفرنسية والإسبانية» والفصل الثاني بعنوان «طنجة المنطقة الدولية». ويقدم الكاتب في فصل الحماية الفرنسية، التي ضمت المناطق الوسطى بالمغرب ابتداء من سنة ١٩١٢ وصفاً لنظام الإدارة المغربية وأدوار الوزراء وخليفة السلطان ووظائفهم ومدى صلاحيتها، ويؤكد أن السلطان المغربي مولاي يوسف (اعتلى العرش سنة ١٩١٢) في ظل الحماية ظل ذا سيادة اسمية فقط، وقد تمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها في رقعة الحماية الإسبانية، في حين كان يكلف الوزراء وكتاب الدولة في مجمل الأحيان بمهام خاصة. وقد أحدثت فرنسا إدارة فرنسية لترسيخ سلطتها مع الاحتفاظ بالأجهزة المخزنية المغربية، فتوزعت بين

الكاتب بأنها أكثر المدن تشبعا بالحضارة الإسلامية، ولا زالت المدينة تحتفظ بمظاهر الحياة الإسلامية. ومباشرة بعد رحلته إلى إسبانيا حدّد الكاتب وجهته المقبلة وهي المغرب، بعد أن تشبّع بعدة حوافز أيقظت بداخله همة السفر إلى المغرب دون تردد. فقد كانت تحدو المؤلف نزعة الاستكشاف لمعرفة أحوال الناس في المغرب. ومن بين الحوافز الأخرى التي شجعت على السفر إلى المغرب مشاهدته في إحدى قاعات العرض السينمائية لفلم «سقور الصحراء» من إنتاج الحكومة الفرنسية تسلط فيه هذه الأخيرة الضوء على التقدم الذي أحرزته في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب. وكان هذا الفلم كافياً ليزيد من عزمه على السفر إلى المغرب. وعموماً فقد تعددت الأسباب التي جعلت المغرب وجهة سفر مفضلة عند بعض الرحالة، فعدم التوافق بين القرب الجغرافي والبعد الثقافي بين المغرب وأوروبا يخفي وراءه مؤامرة بدرجات متفاوتة من التعصب المعربي بين الرواة والكتاب. وفي الحقيقة، ارتفع عدد الرحالة الذين زاروا المغرب في منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأغلبهم رحالة فرنسيون وبريطانيون وألمان، ورحالة إسبان، وكانت الكتابات اللاحقة في العقد الأول من القرن الأول تميز الجغرافيا الجديدة بانتماؤها إلى الحماية الفرنسية أو الإسبانية في المغرب.

«من الأرجنتين إلى المغرب، جولة واسعة في مناطق الحماية الإسبانية والفرنسية» كتاب يعجّ بالمفارقات الشرقية، دونتها أنامل رحالة متمرس. ولهذا السبب يبدو أن الكاتب لم يرغب في حصر كتاباته في زاوية الكتابة الرحلية، فقد كان هدفه الغوص في أعماق الحماية الفرنسية والإسبانية في المغرب، وكذا بعض خصوصيات منطقة طنجة الدولية وبلورة مقارنة بين نظامي الحماية في المغرب آنذاك.

إن متعة الوصف تتجلى في قدرتها على خلق تصورات استشراقية بسيطة لكنها دقيقة وجدلية، لهذا تباينت الثيمات المشتركة والضمنية المهيكلة لهذا النوع من

كتاب «من الأرجنتين إلى المغرب، جولة واسعة في مناطق الحماية الإسبانية والفرنسية» يجمع بين خطاب البحث النظري وخطاب التقارير الرحلية الإثنوغرافية وخطاب الممارسة الميدانية المختلفة في المغرب، وهو بهذا لا يكشف فقط عن ذلك الاتجاه المروري للرحلة كما يوضحه العنوان - من الأرجنتين إلى المغرب- بقدر ما يؤلف صورة فريدة عن مغرب فترة الثلاثينيات من القرن العشرين.

والرحالة أدريان باتروني مؤلف هذا الكتاب، هو رسام وشاعر غنائي، شارك في الأوساط الاشتراكية العمالية في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، ويعد أحد مؤسسي الحزب الاشتراكي العمالي في الأرجنتين آنذاك، وكانت كتاباته بصفته محرراً وكاتب عمود تعتبر من بين أنشطته المتميزة واللامعة. في سنة ١٩٠٥، تخلى أدريان باتروني عن العمل الحزبي وعمل بعدها في الوزارة الوطنية للفلاحة، وكان يتابع الكتابة بصفته صحفياً عسكرياً، وبفضل إبعاده عن المجال الحزبي انطلقت كتاباته عن الرحلة ضمن مشروع ثقافي في مجال علم الشعوب؛ ويعتبر هذا النص لبنة أخرى في هذا المشروع الذي تبنته المؤسسات العلمية، حول التراث السياسي والثقافي للشعوب، ضمن أربع مؤلفات أخرى في هذا المجال وهي: «سنة أشهر في أوروبا» (١٩٠٥)، و«روائع شمال ووسط الأرجنتين» (١٩٢٤)، و«روائع جنوب الأرجنتين» (١٩٢٨)، و«روائع بحيرات الأرجنتين» (١٩٣٨)، وكتابه «من الأرجنتين إلى المغرب، جولة واسعة في مناطق الحماية الإسبانية والفرنسية» (٢٠١٦).

حظيت الروائع التي تزخر بها المدن الإسبانية مثل غرناطة وإشبيلية وقرطبة وغيرها بإعجاب الكاتب أثناء زيارته لإسبانيا سنة ١٩٠٢، وشكلت بالنسبة له دافعا للقيام برحلة إلى إمبراطورية السلطتين «الأندلس- ومدينة غرناطة بالخصوص، وبعدها قام بزيارة مدينة طرابلس وتونس والتي مازالت محافظة على مظاهر حياة المسلمين، وخاصة في مدينة تونس التي وصفها



متدينون أكثر من اللازم، لهذا نجده قد تطرق بتفصيل لهذا الموضوع: الوضوء والصلاة والأعياد الدينية. وقد خصَّ الرحالة - سيرا على نهج من سبقوه من المستشرقين والرحالة الغربيين - شهر رمضان بفصل خاص بعنوان «رمضان وعيد الأضحى».

إن كتب الرحلة هي مزيج من السيرة الذاتية، والحبكة الروائية، والوصف السردي، ولهذا فقد اعتمد الرحالة الأرجنتيني أدريان باتروني في كتاباته بنية السرد المعتادة القائمة على الوصف، فمن خلال كتاباته نستشف هذا العنصر الأساسي في الرحلة، والذي استطاع من خلاله أن يرسم لنا صورة سياسية واجتماعية ودينية عن المغرب والمغاربة في فترة الحماية، وهذه الكتابات توفر للقارئ فضاء فكرياً هاماً يستشف من خلاله تاريخ وصورة المغرب والمغاربة في الكتابات الاستشراقية الناطقة بالإسبانية.

لم يعتمد الرحالة على قراءة الكتب والملاحظة والمشاهدة فقط، بل كان يقوم بلقاءات ميدانية وحوارات مع الناس للتقرب منهم ومن عاداتهم وطبائعهم وأنماط عيشهم، بالإضافة إلى أنه لم يكن لديه مشكل مع اللغة بفعل الحماية الإسبانية والقرب الجغرافي من إسبانيا ووجود الإسبان في الشمال المغربي ساعدته على الاختلاط بالناس وتبادل أطراف الحديث معهم، فهو لم يكن بحاجة ملحة إلى مترجم بخلاف الرحالة الهولنديين أو الألمان على سبيل المثال.

وهنا تكمن أهمية الكتاب في توثيق الروابط الثقافية والتاريخية بين البلدين، وكذا في إعادة إصدار المؤلف الذي يؤرخ لجولة واسعة في مناطق الحماية الإسبانية والفرنسية، وهو يدخل في إطار مجموعة الطبعة المشتركة بين جامعة روساريو ومعهد الدراسات البرتغالية التابع لجامعة محمد الخامس في إطار اتفاقية سمحت في السنوات الأخيرة ببناء جسور الثقافة بين الأرجنتين والمغرب خاصة وبين المغرب والعالم الأخرى، فقد امتدت جذور العلاقات المغربية-الإسبانية إلى حقب غابرة في التاريخ بحكم التقارب الجغرافي والحضاري بين البلدين، وعلى امتداد الزمن عرف البلدان أشكالاً عديدة من التفاعل الثقافى. وعسى أن يتم ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية وأن يهتم به أصحاب القرار الثقافى والتربوي في المغرب لكي يتعرف القارئ باللغة العربية على الصور الاستشراقية الأمريكي-لاتينية التي شيدها الرحالة الأرجنتيني عن المغرب الإسلامي؛ وبالتالي ربما عن الشرق الإسلامي في الكثير من الجوانب المشتركة بين الشرق والمغرب الإسلاميين.

اسم الكتاب: «من الأرجنتين إلى المغرب، جولة واسعة في مناطق الحماية الإسبانية والفرنسية».

اسم الكاتب: أدريان باتروني (Adrián Patroni) دار النشر: معهد الدراسات الإسبانية البرتغالية التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط وجامعة محمد الخامس بالرباط ومنشورات جامعة روساريو الوطنية. سنة النشر ومكانه: ٢٠١٦، روساريو (Rosario) الأرجنتين.

لغة الكتاب: اللغة الإسبانية

\* باحثة في الأدب المقارن / الرباط، المغرب



إليها عدد كبير من المسؤولين الذين استقروا فيها مع عائلاتهم، الشئ الذي انعكس على المجال الاقتصادي إيجابياً، وكان الأجنب ومنهم الإسبان والفرنسيين والإنجليز وغيرهم، قد هيمنوا على الأنشطة الاقتصادية بمنطقة طنجة من خلال الشركات التجارية والبنكية وأنشطة التهريب، وقد استفادوا من امتيازات متعددة منها ضعف أجور العمال وانخفاض أسعار العقار وندرة الرسوم الجمركية، ورغم ذلك فإن العمال المغاربة شكلوا أغلبية السكان، وزاولوا أنشطة متواضعة كخدم في البيوت وتجار حرفيين صغار.

وبخصوص المستوى الثاني من التحليل والذي يخص المجال الثقافى والأنثروبولوجي فقد حظي هذا المجال بحصة الأسد في هذا المؤلف، إذ أن معظم فصول هذا الكتاب خصصها الكاتب لوصف رحلاته وزياراته لمختلف المدن المغربية، وكما يبدو وبخلاف الرحالة الذين يقتصرون على زيارة المدن السلطانية والمركزية (طنجة، فاس، مكناس، الرباط، مراكش)، فقد وسَّع الرحالة أدريان باتروني رقعة رحلاته فشملت عدة مدن مغربية من الشمال إلى الجنوب، وكما ذكرنا سابقاً فقد قام الرحالة الأرجنتيني برحلته في عز الحماية الإسبانية والفرنسية، فهذا عامل أساسي ساعد الرحالة على توسيع جولته بالمغرب، إضافة إلى أنها فتحت أمامه مجالاً ثقافياً واسعاً وأمناً له، من ناحية المجال السياسي والأمنى، ومن ناحية الثقافة في هذه الرحلة فقد عزم الرحالة على زيارة عدة مدن لتوسيع أفق نظرتة عن البلد وللتعرف على التنوع الثقافى. وكان الكاتب قد أورد فصلاً بعنوان المرأة المغربية وعاداتها عند مختلف الطبقات الاجتماعية، وصفها بامرأة لا تختلط بالرجال ولا تمشي في الأسواق ولا تخرج إلا إذا غربت الشمس وهي ترتدي لباساً محتشماً لا يكشف عن وجهها، تلك هي المرأة المغربية في الثلاثينات.

وتناول الكاتب في الجانب العقائدي والديني موضوع الدين والتدين الشعبى بشكل مفصل في فصل بعنوان «المغاربة متدينون بشكل مفرط»، ومن خلال عنوان الفصل يظهر جلياً رأي الكاتب أو نظرتة تجاه المغاربة فيما يخص الجانب العقائدي، فهم بالنسبة إليه

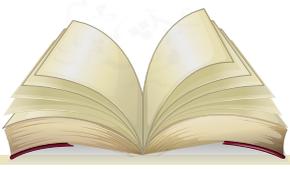
إدارة مركزية وإقليمية ومحلية، وكان المقيم الفرنسي ليوطي أول مقيم عام في المغرب يمثل الجمهورية الفرنسية بالمغرب، ويسير المصالح الإدارية والعسكرية ويسن القوانين ويصادق عليها بمساعدة كاتب عام يشرف على جميع الإدارات، إضافة إلى المديرين الذين يتولون رئاسة المديرات والوزارات المهمة كوزارة المالية والداخلية والتعليم والفلاحة. أما الإدارة المركزية فكان على رأسها السلطان وله دور شكلي حيث يوقع الظهائر، كما أن له سلطة دينية أكثر منها سياسية، يساعده الصدر الأعظم ووزارتا العدل والأوقاف. وبحلول سنة ١٩٢٥ تحولت الحماية إلى إدارة مباشرة تتخذ القرارات متجاوزة الإدارة المغربية، عكس ما كانت تصرح به سلطات الحماية في شخص مقدمها العام ليوطي أن الإدارة تمت بمؤسسات وحكومة وإدارة البلد وتحت السلطة العليا للسلطان وتحت الإشراف البسيط لفرنسا.

أما فيما يخص التنظيم الإداري بمنطقة الحماية الإسبانية التي تضم جغرافياً المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية، فقد ذكر الكاتب أنها تميزت بالازدواجية كما هو الشأن بالنسبة للإدارات الفرنسية بمنطقة الحماية الفرنسية، بين الإدارة الاستعمارية والدار المخزنية المغربية كإدارة شكلية مركزياً ومحلياً. فكان على رأس الإدارة المركزية الإسبانية مندوب سام يمثل الدولة الإسبانية بالمغرب يسير منطقة الاحتلال ويستعين بمجموعة من الأجهزة الإدارية في شكل نيابات، وقد عينت إسبانيا محلياً قناصل في المدن وعينت في البوادي ضباطاً عسكريين. ويقتصر دور السلطان الذي يمثل الإدارة المغربية المركزية على صلاحيات شكلية كإصدار الظهائر، كما يتولى إدارة العدل والأوقاف.

وقد أشار الكاتب في فصل أورده تحت اسم «طنجة المنطقة الدولية»، إلى وضعية طنجة آنذاك، فذكر بأن طنجة كانت لها وضعية خاصة، حيث صارت عند أواخر القرن الثامن عشر الميلادي عاصمة المغرب الدبلوماسية، وبالتالي معقلاً للسفراء ومقرراً لثائب السلطان وذلك نظراً لقربها من أوروبا وعلى مضيق تمر به معظم سفن الدول الأوروبية، بعدها تم فرض النظام الدولي على طنجة وحددت أجهزته بموجب اتفاقية باريس ١٨ دجنبر ١٩٢٣ بين فرنسا وإسبانيا وبريطانيا وألمانيا.

ويرى المؤلف بأن أبعاد تدويل مدينة طنجة تكمن في الأساس في فقدان المغرب لسيادته على مدينة طنجة، فقد أصبح الأجنب هم سادة طنجة والقائمين عليها، أما بالنسبة للدولة المغربية فقد ظل تواجد صوريا بعد تعيين السلطان مندوباً له بطنجة، فالمندوب السلطاني يمثل السلطان المغربي، ويحرص على احترام المغاربة للنظام الدولي ويترأس المجالس التشريعية لكن ليس له حق التصويت. ويشير الكاتب إلى أن المنطقة الدولية تضم هيئة تشريعية صورية أكثر منها حقيقية، ولا يتم انتخاب أعضائها عن طريق اقتراع عام ولكن يتم تعيينهم من طرف ممثلين دبلوماسيين وهي تتكون من ست دبلوماسيين ٤ إسبان و٤ فرنسيين و٣ من إنكلترا و٣ من إيطاليا و٣ أستراليين وبلجيكي واحد وهولندي وبرتغالي.

وخلال تواجد الكاتب في طنجة التقى بشباب من المدينة وتبادل معه أطراف الحديث، فأكد له هذا الشاب أن الميزة الوحيدة التي امتازت بها عملية تدويل منطقة طنجة هي أن الدول التي تدخلت بشكل مباشر في طنجة انضم



# «إلى أين يتجه العالم؟».. لباسكال لامي ونيكول جنيسوتو

محمد الحداد \*

«إلى أين يتجه العالم؟».. هذا سؤال يطرحه حاليا الجميع، من النخبة أو من عامة الناس، والإجابة عنه تأتي في الغالب متشائمة، حتى في البلدان الغنية والمتقدمة. من هنا، كانت المراهنة على جواب إيجابي ومتفائل أمرا مثيرا يجلب الانتباه، هذه على الأقل المراهنة التي أقدم عليها لباسكال لامي المدير العام السابق لمنظمة التجارة العالمية. إن تسييره لهذه المؤسسة المحورية في الاقتصاد العالمي المعولم، فضلا عن خبرته السابقة؛ باعتباره أحد المفوضين في إدارة الاتحاد الأوروبي، تجعله في موقع خاص وتميز لتقديم وجهة نظر غير مألوفا بل معارضة للشعور السائد؛ استنادا لأرقام ومعطيات كثيرة تزخر بها مساهمته في هذا الكتاب.

ويزعم لباسكال لامي أننا لو وضعنا أماننا بخارطة التي تصدرها سنويا منظمة التجارة العالمية لبيان نسبة اندماج بلدان العالم في العولمة، وقارناها بخارطة التي تصدرها سنويا مفضوية شؤون اللاجئين التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، وهي ترسم مناطق العالم المشمولة بموجات الهجرة المكثفة لأسباب اقتصادية أو مناخية أو أمنية، لرأينا تقاطعا واضحا بين المناطق الأقل اندماجا في العولمة والمناطق الأكثر تعرضا للهجرات الجماعية. يستنتج لامي من هذه المقارنة أن العولمة ليست المشكل، بل غيابها هو الذي يحدث المشاكل التي تبعث فينا اليوم الشعور بالخوف من المستقبل والتشاؤم حول وضع العالم ووجهته.

للسياحة في كل بلدان العالم، وقد أنفقوا سنة ٢٠١٠ أكثر من ٥٠ مليار دولار في البلدان التي استقبلتهم، وتضاعف مبلغ هذا الإنفاق أكثر من أربعة مرات بعد ذلك، فبلغ سنة ٢٠١٥ أكثر من ٢٢٠ مليار دولار. إنه رقم هائل تستفيد منه الصناعات السياحية في البلدان التي فهمت تطورات العالم ووفرت لنفسها سبل الاستفادة منه.

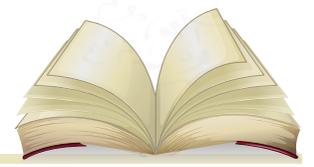
وإذا كان الأمر بهذا الشكل، فلماذا يشعر الناس حينئذ بالتشاؤم والخوف عندما يطرح عليهم سؤال: إلى أين يتجه العالم؟

قد نستخرج من تحاليل لباسكال لامي في هذا الكتاب عدة إجابات عن هذا السؤال. أولها: أن تراجع الفقر في العالم تزامن مع تنامي التفاوت الاجتماعي بين الطبقات «الشعبية» والطبقات الأكثر ثراء؛ بما جعل الشعور بالتفاوت يتغلب على الشعور بأهمية الخروج من الفقر. وثانيها: أن العولمة تجعل كل مشاكل العالم معروضة على أنظار الجميع، فتطغى الأوضاع السيئة على وعي الناس أكثر مما تبرز الأوضاع المحسنة والمتطورة، فالرأي العام لن يهتم بعشرات ملايين الأشخاص العاديين الذين يعولون أسرا عادية بقدر اهتمامه ببضعة آلاف من اللاجئين أو المعدمين أو المتشردين الذين تنقل وسائل الإعلام يوميا صورا عن مأساتهم. وثالثها: أن مناطق العالم تتفاوت في الاستفادة من النظام الحالي، والآسيويون أكثر تفاعلا لأنهم الأكثر استفادة، بينما المناطق الأكثر تشاؤما هي الأقل استفادة، وهي أساسا روسيا والشرق الأوسط وإفريقيا جنوب الصحراء. ورابعها: غياب حكمة سياسية للعولمة، ويقترح في هذا المجال التخلص من وهم إنشاء مؤسسات عالمية لتوفير هذه الحكامة، والمراهنة على مبادرات تقدم عليها مجموعة

مع بلدان أخرى أقل منها اندماجا في هذا الاقتصاد، مثل كوريا الشمالية أو إيران. فكلما كانت المصالح الاقتصادية قوية ومتشابكة خفت إمكانات الصراع وقويت نسبة الأمن والاستقرار. والحل لما يبدو اليوم فوضى في النظام العالمي يتمثل، من وجهة نظر المدير العام السابق لمنظمة التجارة العالمية، في توسيع مجال التجارة واقتصاد السوق والعولمة الاقتصادية.

وبالمثل، يتجه لامي إلى الاحتجاج، مستندا لكم هائل من الأرقام والمعطيات الاقتصادية، إلى أن المناطق الأكثر اندماجا في العولمة والتجارة الحرة لم تغنم في مستوى الأمن والاستقرار فحسب، وإنما كسبت الرهان أيضا في مجال محاربة الفقر. تثبت الأرقام والإحصاءات أن أكثر من ٧٠٠ مليون شخص خرجوا من الفقر أثناء الفترة الممتدة بين ١٩٩٠ و٢٠١٠، أي تلك التي يشار إليها عادة بالعولمة، وأن موازين القوى العالمية خلال هذه الفترة أصبحت أكثر تكافؤا مما كانت عليه في عهد الحرب الباردة، فقد ارتقت العديد من البلدان المصنفة سابقا ضمن العالم الثالث إلى مصاف القوى الاقتصادية التي يحسب لها ألف حساب؛ مثل: الصين والبرازيل وبلدان أخرى. وبفضل ازدهار هذه البلدان، تنامت الطبقة الوسطى في العالم فشملت ١,٨ مليار شخص سنة ٢٠٠٩، وسترزق إلى ٣,٢ مليار شخص سنة ٢٠٢٠، لتصل إلى ٤,٩ مليار شخص سنة ٢٠٣٠. فعلى عكس ما يقال عادة، لا يترتب على الوضع الحالي ضور الطبقة الوسطى بل تصاعدها، وإن تراجعت هذه الطبقة في المناطق ضعيفة الاندماج في العولمة. ويمثل تنامي هذه الطبقة في آسيا وأمريكا الجنوبية فرصة ثمينة لاقتصاديات العالم كله. على سبيل المثال، أصبح الصينيون اليوم يسافرون

ويعزز لامي رأيه بالعودة للباسات نشأة العالم الحالي، أو النظام الدولي الجديد، كما أطلق عليه مع نهاية الحرب الباردة بين العملاقين سابقا. فيذكر أن مآل تلك الحرب لم تحسم بالسياسة، ولم تسقط المنظومة الاشتراكية لأسباب سياسية، وإنما حسمت بالاقتصاد، فلم ينجح الاقتصاد الاشتراكي في مواجهة اقتصاد السوق، وخرج العالم من رعب المواجهة النووية المدمرة بفضل هذا النجاح الاقتصادي. وعليه، فإن عالم اليوم ينبغي أن يراهن مجددا على اقتصاد السوق والتجارة الدولية لإحلال السلام والأمن. إن المنافسة الاقتصادية إذا حصلت في إطار العولمة لا تؤدي للمواجهة مهما كانت ضراوتها، هكذا يؤكد لامي بقوة، مواصلا النظرية التي نشرها فلاسفة الأنوار واقتصاديو السوق منذ القرن الثامن عشر، واختزلتها العبارة المشهورة لمونتسكيو «حيثما حلت التجارة تراجعت الحروب». في رأيه، لا توجد اليوم أية إمكانية لقيام صراع خطير بين الولايات المتحدة والصين رغم المنافسة الاقتصادية الضارية بينهما؛ لأنهما متكاملان اقتصاديا؛ حيث تستفيد الصين من الثراء الأمريكي لغزو الأسواق ببضائعها وبيع منتجاتها، بما يعمق العجز التجاري للولايات المتحدة، ويدفع إلى إفلاس العديد من مؤسساتها الصناعية، لكنها بالمقابل تودع سنويا في المصارف الأمريكية عشرات المليارات من الدولارات المترتبة على نجاحها الاقتصادي، بما يمثل موردا ماليا ضخما للولايات المتحدة يسمح لها بالتعويض عن العجز الاقتصادي، وفرض عملتها وسياستها المالية على الصين، وعلى العالم كله. على العكس، يمكن أن تندلع يوما ما مواجهة بين الولايات المتحدة وروسيا، والسبب في ذلك أن روسيا بلد ضعيف الاندماج في الاقتصاد العالمي المعولم، أو



إمكانية اكتشاف كميات مهمة من النفط في القطب الشمالي تقدر بـ ١٣ بليوناً من الموارد العالمية، لكن استغلالها مرتبط أيضاً بتراجع الكتلة الثلجية التي تحدث تقديماً للمحيطات والبحار يترتب عليه اندثار المدن الساحلية. فرغم كل ما يقال، سيظل الشرق الأوسط منطقة استراتيجية في مجال الطاقة لفترة طويلة قادمة، وسيظل نفطه أساساً في تحريك الاقتصاد العالمي، فحتى لو استطاعت الولايات المتحدة تخفيض حاجتها إليه، فإن الصين التي تمثل قاطرة الاقتصاد العالمي حالياً سيتزايد طلبها عليه، وبالمثل ستظل أوروبا بحاجة إلى الغاز الروسي رغم علاقاتها المعقدة مع نظام بوتين.

موضوع آخر تقارب حوله وجهات نظر المتحاورين؛ هو: نهاية الهيمنة الغربية على العالم، وضرورة الاستفادة اليوم من كل التجارب الثقافية والحضارية والبحث عن حكمة عالمية مشتركة لإدارة عالم متصدع، فالعامل الثقافى أصبح مهماً وينافس العاملين السياسى والاقتصادى، والعديد من الدعوات الانفصالية مثلاً أو المشاكل الدولية العالقة لا يمكن فهمها إلا بالعودة إلى خلفياتها الثقافية. فالتقارب والحوار بين الثقافات جزء ضروري من الجهد العالمى لتخفيف الاحتقان وتوجيه الطاقات لما فيه خير الجميع. لكن ذلك لن يمنع بروز أشكال جديدة في الصراع مستقبلاً. منها مثلاً الصراع على السيطرة على المحيطات والجزر الصغيرة، فهذا الشكل الجديد الذي نرى ملامحه اليوم في الصراع بين الصين واليابان يعود إلى أهمية المحيطات والجزر مستقبلاً في تحديد المياه الإقليمية للدول وبالتالي توسيع مجال هيمنتها على الطرق التجارية أو استغلال مصادر الطاقة في المحيطات، لكنها توجب أيضاً صراعات ثقافية قديمة مثل ما يحصل بين الصين واليابان.

وسواء دارت الصراعات حول الطاقة، كما في الشرق الأوسط، أو حول الجزر والمحيطات، كما في شرق آسيا، أو لاعتبارات أخرى كثيرة ومتنوعة، فإن العالم يشهد تشظياً واضحاً ووضعاً غير مسبوق في مستوى إدارة الصراعات، يتعارض مع مسار توحيد وتنميط الاقتصاد ليكون معولاً وخاضعاً لقواعد غير قابلة للنقاش. ولعل من أهم مقترحات المدير السابق لمنظمة التجارة العالمية مفهوم (polylatéralisme) أي مبادرة مجموعات من الدول لطرح حلول لمجموعات من المشاكل والعمل تدريجياً على إقناع الدول الأخرى بها؛ باعتبارها آلية بديلة عن حلول فردية لم تعد مجدية ومؤسسات دولية لم تعد قادرة. إن التحليل المتفائل الذي يقدمه شخص ذو خبرة مرموقة في العمل الدولي ينشط على الأقل النزعة نحو المبادرة والتجديد، بدل الشلل الذي يصيب الفكر والحركة سبب الخوف من المستقبل. فهذا بعض ما يغنمه القارئ في الكتاب.

الكتاب: «إلى أين يتجه العالم؟».

المؤلف: باسكال لامي ونيكول غنيسوتو.

الناشر: باريس، منشورات أوديل جاكوب، ٢٠١٧، باللغة الفرنسية.

\* أستاذ كرسي اليونسكو للدراسات المقارنة للأديان



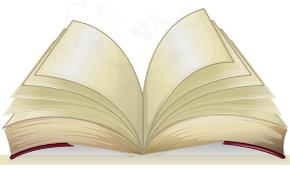
المؤسسات الدولية فهي وريثة الحرب العالمية الثانية، ولم تعد تعكس موازين القوى في العالم؛ وبالتالي لم تعد قادرة على التحكم فيه وتعديل مساراته أو مجرد التخفيف من أزماته. فالمؤسسات المالية الدولية يسيطر عليها الأمريكان والأوروبيون رغم أن مركز الاقتصاد العالمي أصبح في آسيا، ومجلس الأمن الدولي لا يتسع لقوى صاعدة ومهمة مثل الهند أو البرازيل. لا يوجد حينئذ نظام سياسي عالمي واضح المعالم يمكن أن يوجه العولمة الاقتصادية، ولا يمكن التسليم بالنظرية التي تقول بأن اقتصاد السوق سيفرز في العالم كله أنظمة ديمقراطية، فالصين قوة اقتصادية كبرى دون أن تكون ديمقراطية، ونظام التسيير «البوتيني» (نسبة إلى الرئيس الروسي) المتميز بالحزم والفرديانية يغري بلدانا كثيرة في العالم.

وانطلاقاً من هاتين الرؤيتين المتعارضتين يستعرض كل من باسكال لامي ونيكول غنيسوتو الوضع في المناطق الأهم في العالم (الولايات المتحدة، أوروبا، الصين، الهند، روسيا، اليابان، أمريكا اللاتينية، إفريقيا والشرق الأوسط) والرهانات الأكثر تحديداً مستقبلاً (اللاجؤون، الطاقة والتغيرات المناخية، الإرهاب، الأمن السيبراني، المحيطات، الحكامة، الأمن والديمقراطية). لا يتسع المجال هنا لعرض النقاشات الثرية بين المتحاورين في كل هذه المسائل، من منطلقين مختلفين يعلي أحدهما شأن السياسة والثاني شأن الاقتصاد، لكن نشير على سبيل المثال إلى بعضها. في ميدان الطاقة، ثمة شبه اتفاق على أن منطقة الشرق الأوسط وروسيا ستظل المخزون الرئيس للطاقة في العالم على مدى العقود القادمة، وتحتوي روسيا وإيران وقطر وحدها على نصف المخزون العالمي من الغاز، ويحتوي الشرق الأوسط على ٧٠ بالمائة من مخزون النفط، أما الطاقات البديلة فتتمثل حالياً في الغاز الصخري (غاز الشيست) الذي وعد الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب بتشجيع استخراجها إلى أن يمكن الولايات المتحدة من تحقيق الاكتفاء الذاتي في الطاقة سنة ٢٠٢٠، لكن هذه الطاقة مكلفة في مستوى البيئة وقد تؤدي إلى أضرار مناخية جسيمة. ثمة أيضاً

من الدول في قضية معينة ثم تتسع لدول أخرى إلى أن تشمل العدد الأكبر من دول العالم، كما حصل مع الاتفاق العالمي حول المناخ الذي قاده فرنسا.

يُمكن توجيه نقديين رئيسيين إلى هذا التحليل الذي يقدمه لامي. أولاً: إن مسألة التفاوت والحيث التي يعترف الجميع بحدتها اليوم ستواصل الارتقاء؛ لأن النظام الحالي لا يوفر من ذاته سبل معالجتها، فالدعوات إلى تشجيع سياسات تضامنية وتكافلية تظل مجرد أماني طيبة؛ لأن السؤال الأساسي يتعلق بتحديد الجهة التي ستتولى عملية التعديل وتوفير التمويلات المناسبة لذلك. لا يوجد في المستوى العالمي هيئات مكلفة بالقيام بهكذا تعديل، وبما أن التجارة حرة فلا يمكن إعادة ترتيب مخرجاتها لتخفيف الضغط على الأقل استفادة منها. أما الدول الوطنية التي كانت تمارس هذا الدور في السابق فقد تقلصت قدراتها حالياً، لأن جزءاً من مواردها المالية قد سحب منها نتيجة سياسات الخصخصة وتدويل رؤوس الأموال ودفع الضرائب خارج البلدان الأصلية، فضلاً عن مظاهر أخرى أكثر خطورة استشرت في الفترة الأخيرة، مثل الملاذات الضريبية وتجاوز الاقتصاد المالي على الاقتصاد الانتاجي وتجاوز إيرادات الوراثة على إيرادات العمل بسبب المضاربة، فلم تعد الدول قادرة على توفير المساعدات الاجتماعية والصحية ودعم المواد الأساسية للمحتاجين، وغالباً ما تضطر إلى التخفيض من مكاسب العمال والتغطية الصحية ومبالغ التقاعد حتى في البلدان الأكثر ثراء. ثانياً: إن المناطق التي أشار إلى كونها الأقل اندماجاً في العولمة هي المناطق التي تضم أكبر مخزون عالمي في الطاقة؛ فإذا كان جزء من ضعف اندماجها يجد تفسيراً له في اعتمادها المفرط على تصدير الطاقة دون تطوير مجالات اقتصادية أخرى، فهل يمكن التغافل عن جانب آخر مهم في المسألة، وهو وضع الطاقة في نظام التجارة العالمية، وهل ينبغي أن تعتبر مجرد بضاعة للتبادل أم هي ثروة وطنية يمتلكها أصحابها؟ وعليه، أفلا تكون الحرب الخفية حول الطاقة سبباً في المشاكل الاقتصادية للمناطق التي يشير إليها من جهة، وسبباً أيضاً لعدم الاستقرار في هذه المناطق التي تخضع باستمرار للابتزاز قصد توفير الطاقة بأرخص الأسعار؟

لقد جاء الكتاب في شكل محاورة بين باسكال لامي ونيكول غنيسوتو الباحثة المتخصصة في الدراسات الأمنية، رئيسة مجلس أمناء المعهد الأوروبي للدراسات العليا في الدفاع. بالنسبة إليها، لا يمكن تحليل وضع العالم من وجهة نظر اقتصادية بحتة، كما يفعل لامي، بل العامل السياسي في رأيها هو العامل المرجح. وهي تعرض في هذا الكتاب وجهة النظر الأكثر انتشاراً بين القراء، أي وجهة النظر المتشائمة حول وجهة العالم ومستقبله. فهي تشير إلى أن مبيعات الأسلحة ما فتئت ترتفع في السنوات الأخيرة لتبلغ حالياً مبلغاً شبه خيالي (١٦٠٠ مليار دولار)، ولم تعد توجد دولة عظمى قادرة على ضبط الأوضاع والتدخل الحاسم عند الأزمات. ومع أن الولايات المتحدة تظل البلد الأقوى في العالم ويساوي إنفاقها على الأسلحة نصف الإنفاق العالمي وتملك ٨٠٠ قاعدة عسكرية موزعة على كل القارات، فإنها لم تعد قادرة ولا راغبة في لعب دور شرطي العالم. أما



## «الرد والدليل في نصره الدين الذليل».. ليهودا اللاوي

فوزي البدوي \*

هذا كتاب جديد، يصدر عن مركز جورن جولدشتاين الدولي لدراسة الفكر اليهودي، المنضوي تحت جامعة بن جريون في النقب، في السلسلة الموسومة بمكتبة الفكر اليهودي، بإشراف البروفيسور حاييم كرايسل، وهو نص في غاية الأهمية، يجب أن يهتم به العرب والمسلمون؛ ليس فقط لأنه جزء من تراجم اليهودي الأندلسي الذي كتب بالعربية، ولكن لأنه يكشف عن وجه من وجوه العلاقة التي قامت بين العرب واليهود والمسيحيين في شبه الجزيرة الأيبيرية في مجال الجدل الديني. وبالرغم من أن النص معروف منذ مدة طويلة لكثير من النصوص التراثية، إلا أن الترجمة التي قام بها مايكل شفارتز تجعل منه نصاً جديداً؛ فهو إذن ليس بكتاب قديم يعاد نشره، ولا بطبعة حديثة لإصدار قديم، بل هو كتاب جديد لمن يعرف أهمية هذا الكتاب بالنسبة للعلاقات الإسلامية اليهودية، وهو ما سنبينه في هذا المقال.

وقد قدم له البروفيسور دانيال لاسكر -وهو من الباحثين الإسرائيليين المعاصرين، الذين تخصصوا بمسائل الجدل اليهودي- المسيحي في جامعة ابن جوريون في صحراء النقب، وعضو جمعية الدراسات اليهودية العربية- وقد انصب اهتمامه على الجدل اليهودي الداخلي بين اليهود الربانيين والقرائين، وبين اليهود والمسيحيين في الفضاء الإسلامي، ومسائل الجدل الإسلامي اليهودي عموماً.

ومن الواضح كما يقول حسب شحادة في مقال له عن الترجمة العربية «أن الهدف الأساسي للمؤلف الشاعر والطبيب، الحبر أبي الحسن اللاوي، هو الرد على الديانتين السماويتين الأخيرتين، المسيحية والإسلام من جهة، وعلى القرائين، الخوارج الذين كتبوا عادة مؤلفاتهم بالعربية وبحروف عربية من جهة ثانية». وما يهمننا في هذا العرض النقدي ليس متن الكتاب في الحقيقة، فهو معروف، ويمكن العثور في مظان كثيرة على تفاصيله، وإنما يهمننا أهمية هذه الترجمة الجديدة، مقارنة بالترجمات العبرية المعروفة السابقة عليه، والتي نعتقد أنها قد بلغت بهذا النص شأواً بعيداً يجعلها بدون منازع أفضل طبعة أكاديمية يمكن التعويل عليها بالنسبة إلى طلاب الدراسات الإسلامية اليهودية وجمهور المتخصصين، فهذا النص الذي فرغ من ترجمته وتحقيقه الدكتور شفارتز قبل وفاته سنة ٢٠١١، وقدم له دانيال لاسكر بمقدمة فريدة تمكننا من فرصة جيدة لمناقشة الترجمات السابقة وفرصة للوقوف على فريدة الترجمة الأخيرة.

كانت أول ترجمة عبرية لهذا الأثر المهم قد قام بها يهودا بن طبون شيخ المترجمين اليهود في القرون الوسطى، وهو من عرف بهذا الأثر الأندلسي بين يهود أوروبا في القرن الثاني عشر للميلاد ونقل المناخ الفكري اليهودي الأندلسي بالعربية إلى اللغة العبرية، التي ظلت قيد الاستعمال في الممالك المسيحية. وقد كان لوقوع الدفاع عن اليهودية والذود عن فكرة الشعب المختار وحب صهيون الذي تغنى به أبو الحسن اللاوي في كثير من أشعاره التي جهلها المسلمون في أيامه لقلّة معرفتهم باللغة العبرية، إضافة لسيرة حياة اللاوي نفسه وما روي من أسطورة استشهاد على أبواب القدس ما جعل لهذه الترجمة الأولى مكاناً متميزاً جعلها تبقى لقرون طويلة معتمد الأوساط اليهودية المشتغلة بتاريخ

המשכילים יבין (والفاهمون يفهمون).  
والحقيقة أن قصة تهود ملك الخزر كانت معروفة بين يهود الأندلس من خلال المراسلات بين حسداي بن شبروط طبيب عبد الرحمان الناصر بملك الخزر، ذلك أنه عندما علم حسداي بوجود مملكة يهودية مستقلة، حرص على مراسلة بلاطها للتواصل معهم، بعد أن علم بوجودهم من سفير ملك الصقالبة إلى بلاط قرطبة. وأرسل حسداي معهم رسالة إلى ملك الخزر يصف فيها موقع الأندلس وعلاقاتها الخارجية، وسأله أن يمدّه بالمعلومات حول الخزر وأصولهم وسياساتهم وقدراتهم العسكرية، وغير ذلك. غير أن بعض المؤرخين مثل يتسحاق باير شككوا في الرسالة، وقالوا بأنها كتبت في القرن السادس عشر وأنها ليست من أعمال ابن شبروط». وإن اعتبر شفارتز أنها ذات أصول حقيقية وذهب مناهياً مغايراً لمذهب هذه المؤرخ في كتابه عن تاريخ اليهود في إسبانيا المسيحية.

والكتاب يشتمل على مقدمة وخمسة مقالات، عرض فيها موقف كل من المسيحي، ثم العالم المسلم، ثم الحبر اليهودي الذي اعتقدت الأبحاث اللاحقة أنه الحبر يوسف سنغري، وقدم عليهم جميعاً في الترتيب قول الفيلسوف في مواضيع عديدة منها الخلق والصفات، ومنها مثلاً قول الفيلسوف هو صفتي الرضا والبغض: «ليس عند الله رضا ولا بغض. لأنه تعالى منزّه عن الإرادات والأغراض. لأن الغرض يدل على نقصان المغرض. وأن تمام غرضه كمال له، ومهما لم يتم فهو نقصان. وكذلك هو منزّه عند الفلاسفة عن علم الجزئيات. لأنها متغيرة مع الأحيان. وليس في علم الله تغير فهو لا يدريك، فضلاً عن أن يدري نيتك وأعمالك، فضلاً عن أن يسمع صلاتك ويرى حركاتك. نعم وإن قالت الفلاسفة أنه خلقك فعلى المجاز، لأنه علة العلة في خلقه كل مخلوق لا لأنه مقصود من قبله».

أما البروفيسور مايكل شفارتز، فهو أستاذ الفلسفة الإسلامية الذي اشتهر بترجمته لكتاب الربّي ابن ميمون «الأندلس دلالة الحائرین، إلى اللغة العبرية، وقد نشره إلى العربية التركي المحقق حسين أتاي عن كلية الإلهيات بأنقرة.

و«الخزري» كتاب ألفه من عرفه العرب باسم أبي الحسن اللاوي، وهو كتاب كنا بصدد الإصدار لنشره مُعرباً، أو منقولاً إلى الخط العربي، اعتماداً على النص الذي حققه حجاج بن شامي، ولكن سبقنا إلى ذلك الباحث منير بشير اعتماداً على هذه الطبعة، وقد كتب عنها البروفيسور حسب شحادة من جامعة هلسنكي تقييماً فيليرج إليه، فعدّلنا عن ذلك بعد أن قضينا فيه سنين عدداً.

وكتاب «الرد والدليل في نصره الدين الذليل»، المعروف اختصاراً بـ«الكتاب الخزري»، هو من كلاسيكات الفلسفة اليهودية الوسيطة، نسبة إلى حوار بين حبر يهودي وكبير مملكة الخزر المعروفة تاريخياً بانتساب جزء من اليهود إليها، حينما سأله قائلاً: سئلت عما عندي من الاحتجاج على مخالفتنا وأهل الأديان، ثم على الخوارج الذين يخالفون الجمهور، تذكرت ما قد سمعته من حجج الحبر الذي كان عند ملك الخزر الداخل في دين اليهود منذ أربعين سنة على ما شهد، وجاء في كتاب التاريخ أنه تكرر عليه رؤيا كان ملاكاً يخاطبه، ويقول له إن نيتك مرضية عند الله، لكن عملك غير مرض، وكان يجتهد جداً في التعبد في دين الخزر، حتى إنه كان يخدم خدمة الهيكل والقرايين بنفسه بنية صافية خالصة. فكلما اجتهد في تلك الأعمال جاء الملاك في الليل يقول له نيتك مرضية وعملك غير مرض، فسبب له ذلك البحث عن الأديان والنحل وتهود آخراً هو وجمهور الخزر. وكان من حجج الحبر ما أفنني وطابق اعتقادي فأريت أن أثبت ذلك الاحتجاج كما وقع



العصر الوسيط وحاول فيها قدر الإمكان السير على خطى ابن طيرون حذو القذة بالقذة مع نفس إيماني ودعوي لافتت قد بها أن تكون طبعة أكاديمية بحسب المدققين.

ثم ظهرت أخيراً ترجمة د. مايكل شفارتز الأخيرة مستلهمة نفس خطه التحقيقي الذي بدأه مع دلالة الحائرين لابن ميمون القرطبي فجمع كما يقول لاسكر طرفين قلما ظفر بهما محقق و مترجم؛ هما: المقروئية والدقة مع فسح المجال للمعجم الجديد الذي عرفته اللغة العبرية الحديثة، كما عمل على إبراز الكلمات التي تظهر في اللغتين العبرية والعبرية في ذات الوقت من خلال استعمال البسط العريض حتى يعلم القارئ أن هذا من عمل يهودا اللاوي وليس من عمل الباحث شفارتز.

وقد أفلحت هذه الترجمة الجديدة بشهادة المتخصصين في تدارك عشرات من سبقها من الترجمات ووفقت في بيان شدة ارتباط نص الخزري بالسياق العربي الإسلامي من جهة المفاهيم والتصورات وقد بين شفارتز اعتراضاته على سابقه وهنأهم وحاول تدارك هذه النقائص بأن وضع فهرساً للمفاهيم العبرية كثيرة التردد وبين السياق الذي استعملت فيه في كل مرة مع شرح هذه المفاهيم في معجم خاص ذيل به الكتاب مع صبر خاص ولافت على الإحالات البيولوجرافية في كل مرة رأى من المفيد أن يزود بها القارئ. وكانت فعلاً عظيمة الفائدة ناهزت أكثر من ثلاثين صفحة. ومثلما قال دانيال لاسكر وآخرون عن حق في عبارات جميلة: «لقد كنت أعتقد زمن صدور عمله عن دلالة الحائرين عن جامعة تل أبيب سنة ١٩٩٧، أنه بالرغم من أفضليته فإنه قد يصعب أن يجد لنفسه مكاناً بين الترجمات العبرية الأخرى بسبب مناخ الريبة عند القراء اليهود من الكتابات الجامعية والإحالات غير اليهودية ولكن شفارتز كذب تكهناتي وصار أفضلها على الإطلاق، وكذلك هذه الترجمة للكتاب الخزري، فهي تستحق حقاً أن تعتبر أفضل ترجمة عبرية حتى اليوم، ولا يمكن الاستغناء عنها بتاتا».

... إن هذا النص مهم جداً للدارسين العرب، وهو يكشف عن مرحلة مهمة من تاريخهم الأندلسي قلما اهتموا بها، وقد آن الأوان أن يبذلوا الجهد والوقت ليسهموا في التعريف بهذا الذي يشكل جزءاً من تاريخهم، تحقيقاً ودرسا وترجمة، لعلهم بذلك يكفرون عن بعض تقصير عبر عنه ابن حزم الأندلسي بكثير من المارة في رسالته في الرد على ابن النغيلة اليهودي.

- الكتاب: «الرد والدليل في نصرة الدين الدليل».
- المؤلف: يهودا اللاوي (أبو الحسن اللاوي).
- ترجمة: مايكل شفارتز.
- الناشر: منشورات جامعة بن جوريون بالنقب بئر السبع، أبريل ٢٠١٧.

\* أستاذ الدراسات اليهودية بجامعة منوبة

تونس



إضافة لاحتوائها على شروح قصيرة وفهارس وقد اشتهرت كما يقول دانيال لاسكر: «بوضوح لغتها العبرية وسهولة مأخذها حتى تقبلها جمهور قراء العبرية الحديثة بالرضا، غير أن عيبها هو أنها نشرت في كتاب الجيب، مع تقييدات مختصرة، فحققت لا محالة مبيعات جيدة، وظلت عمدة الطلاب والباحثين والأكاديميين رداً من الزمن»، لولا عدم دقة الترجمة في كثير من المواضع، وميله إلى التهوين من آراء أبي الحسن اللاوي «حول ما يعتبره فرادة الشعب اليهودي وخصوصيته؛ ولذلك ترجم الكلمة الواحدة بأكثر من كيفية في أحيان كثيرة مما جعل من الصعب - كما يقول لاسكر - على قارئ النص فهم وإدراك هذه العبارات التي فوّتت على المتخصصين الانتباه إلى خصوصية السياق الإسلامي الذي كتبت فيه».

ثم ظهرت طبعة عميد المحققين الإسرائيليين يوسف كافح سنة ١٩٧٧، وهو المتخصص في تاريخ النصوص اليهودية في الحقبة الإسلامية المعروفة بالعصر الذهبي في الأوساط اليهودية، بعد أن تخرج من نشرها إكراما لزميله قبل أن يرتد ليشنع بها في نهاية المطاف، وكانت خاصية طبعة تقوم على ما درج عليه في كل أعماله تقريبا من مقابلة النصين العربي والعبري، جنبا إلى جنب في صفحة مزدوجة أي فيما يمكن تسميته بالطبعة الإزائية Synoptique على غرار ما عرف في بعض طبعات الأناجيل وتتفق آراء الكثير من المتخصصين بشهادة لاسكر بأن «هذه الطبعة لم تكن في مستوى ترجمات كافح لنصوص أخرى بالرغم من أنه بدأ في ترجمة نص الخزري عندما كان طالبا في شيفا مركز هاراف (١٩٤٧-١٩٤٨)، تحت إشراف الربّي دافيد كوهين (١٨٨٧-١٩٧٢) فكانت ترجمته للخزري من كبواته في هذا المجال الذي برع فيه».

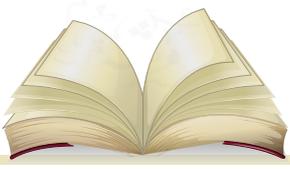
وكانت قد ظهرت من قبل طبعة أخرى للخزري تبدو وضعها الربّي يتسحاق شايلاط سنة ١٩٤٦، عرف في الأوساط البحثية بتمكنه من نصوص اليهودية في

اليهودية في القرون الوسطى شرحا وتعليقا. ومع ازدهار الدراسات اليهودية في القرن التاسع بضعل مدرسة علم اليهودية باسم «علم اليهودي» أو Wissenschaft des Judentums الدراسة العلمية لليهودية وهو ما عرف بالعبرية آنذاك باسم «حوخمات يسرائيل» أو حكمة إسرائيل، التي ظهرت بين مثقفي اليهود ونخبهم المتنورة بين سنتي ١٨١٠ و ١٨٢٠ من القرن التاسع عشر، وفضلوا أهدافهم فيما كتبوه في المجلة التي اتخذوها لسان حالهم وهي «مجلة علم اليهودية» الصادرة سنة ١٨٢٢، وقد آلت جماعة مدرسة «علم اليهودية» على نفسها الرجوع للتراث اليهودي لغة وأدبا وفلسفة لتتولاه بالدرس والتحصيص والنقد، وكان لهذا الرجوع أيداء بيضاء على الدراسات الإسلامية في جزء منها، لما كان من صلات بين التاريخ اليهودي الوسيط والإسلام حتى إن الكثير من زعماء هذا التيار كانوا رؤوس الاستشراق الحديث ورعائه. وهكذا بدأ الاهتمام بنص الخزري فنشر النص الأصلي نشرًا أكاديميا من قبل هارتفيغ هيرشفالد (١٨٥٤-١٩٣٤) اعتمادا على مخطوط مكتبة البودليان البريطانية وكان باللغة العبرية أو «العبرية اليهودية» التي أشرنا إليها آنفا مع نص ابن طيرون وأصلحها حتى توافق النص العبري مع بعض التغيير في نص ابن طيرون العبري وترك كل المواضع الإشكالية التي عسر عليه فهمها كما هي دون تغيير.

وقد لقيت طبعة هيرشفالد لترجمة ابن طيرون صدى كبيرا حينما استعملها أفراهام زيفروني واتخذها أساسا لطبعته هو للخزري وقد اعتمدت الكثير من الطبقات المعاصرة طبعة زيفروني بأن اعتمدتها دون غيرها وقد أشار الباحث الفلسطيني السخيني نبيل بشير إليها في الطبعة العربية للكتاب.

ولكن ما لبثت أن غطت طبعة الباحثين دافيد صبي بنعاط وحجاي بن شماي على طبعة هيرشفالد ومثلما يقول دانيال لاسكر: «فإن نص ابن طيرون هو ترجمة جيدة بالرغم من بعض الهنات فهو يتبه فيها منهجه المعروف القائم على الحفاظ على الترتيب النحوي للجملة وترتيب الكلمات كما ورد في الأصل العربي ما أمكن ذلك بل ويترجم أحيانا الكلمة العربية بما يرادفها في اللغة العبرية وهي من هذه الزاوية أفضل من الأصل المحفوظ في اللغة العبرية التي نسخت في دمشق منذ أكثر من ٣٠٠ سنة بعد صدور النص الأصلي، ويمكن القول إن الطلاب المحترفين والمتخصصين في الفلسفة اليهودية الوسيطة، أو ذوي الصلة الوثيقة بالعبرية الوسيطة، سيجدون أن هذه الترجمة قد حققت أهدافها بأن جعلت هذا النص متوفرا بالنسبة إلى من لا يتقن العربية»، ولكن لاسكر ينبه إلى «أنها تضل طبعة غير معتمدة على أفضل المخطوطات المتوفرة لهذه الترجمة وهي ليست أفضل مما يقدم اليوم للتعريف بأهمية فكر أبي الحسن اللاوي».

وهكذا.. ظهرت ترجمة د. يهودا بن شموئيل سنة ١٩٧٣ محتوية على مقدمة وتميزت بأنها طبعة مشكولة،



# حديث من دون أن يكون غريبا في أصول يابان اليوم .. بيير- فرنسوا سويري

محمد الشيخ \*

لما زار صاحب هذا الكتاب - بيير- فرنسوا سويري الأستاذ الفرنسي بجامعة جنيف السويسرية حيث يدرس التاريخ الياباني، والمتخصص في الشأن الياباني الذي أمضى ١٥ سنة من عمره باليابان مديرا للبيت الفرنسي الياباني بطوكيو، وصاحب كتب مهمة عن تاريخ اليابان الوسيط والحديث والمعاصر - مدينة الدار البيضاء الشهر الماضي لكي يقدم كتابه - حديث من دون أن يكون غريبا : في أصول يابان اليوم (٢٠١٦) - كان قد سُئل من لدن الجمهور عما إذا لم يكن عنوان كتابه هذا عنوانا مستفزا : كيف يمكن لبلد أن يكون «حديثا» من غير أن يكون «غريبا»؟ أو ليست «الحداثة» و«الغرب»، كما «التحديث» و«التغريب»، مفهومين مترادفين؟ وكان جوابه أن اليابان إنما «تحدثت» ولم «تتغرب»، وأن التسوية بين الأمرين خلط شنيع، وأن مبتغاه من كتابه هذا كان هو أن يرد على ما اعتبره «استفزازات» طلبته له، وحتى استفزازات أغلب مفكري أوروبا الذين تعودوا على رؤية غير الأوربيين يستلهمون الثقافة الأوروبية، فلا يرون إلا «أوروبا وبقية العالم»، ولم يتعودوا على العكس؛ وذلك حين يتحدثون عن «تغريب» اليابان، تلقاء «تحديثه»؛ فكان أن فكر المؤلف في استفزاز مضاد: ثمة «حداثات متعددة»، وليس حداثة واحدة. كلا، ما كانت اليابان بدعا من الدول في هذا، بل تعد هي بمثابة «مشتل» لاختبار الحداثة غير الغربية. وهي «مثال» تاريخي للتأمل، وليست بالضرورة «أنموذجا» للحذية.

فإنه كان، على التدقيق، «تصيينا» لا «تغريبا». وبناء عليه، لا يني المؤلف يؤكد على أن اليابان إنما تحدثت بالصين. والشاهد على ذلك، عند المؤلف، أن أول دستور ياباني كان كونفوشيوسي الهوى، أكثر مما كان هو غريبه.

عصر الإصلاحات المسمى عصر الميجي، بدءا من عامي ١٨٦٨-١٨٦٧، حيث برز «نقاش عمومي» لم يكن معهودا من ذي قبل: ظهور «صحافة رأي»، وتشكيل «سلطة رابعة»، وتكوين «رأي عام». وكل ذلك لم يكن مستوردا من أوروبا، بل وجد في الصين القديمة على الأقل منذ القرن ١٥. إثرها تم إخراج المجتمع الياباني من عهد المجتمع الاقطاعي إلى العهد الحديث بفضل سنوات تطور نقاش عمومي هيمنت عليه الطبقات الوسطى، وأثر في مجريات الشأن السياسي. فكان من ثمره ذلك أن تم وضع دستور للبلاد، وهو دستور حتى وإن كان سلطويا فإنه كان الدستور الأول في تاريخ البلاد، وكانت بذلك اليابان أول دولة غير غربية تتخذ لنفسها دستورا. ثم كان ما كان من إقامة أول برلمان ...

والحق أنه لم تنطل «المروية» التي وضعها الغربيون للحداثة باليابان على النظرة العالمية السائدة إلى حداثة اليابانيين فحسب، وإنما انطلت على المؤرخين اليابانيين أنفسهم لمدة تجاوزت القرن ونصف القرن، فكانوا يفكرون في تاريخ اليابان على أنه تاريخ نقص (ما الذي نقص اليابانيين حتى يمسا غربيين ويحققوا الحداثة أسوة بالغرب؟ وتحت تأثير ماكس فيبر. وقد ترجموه قبل أن يترجمه الفرنسيون. تساءلوا: لماذا نجح الأمر في أوروبا ولم ينجح لا في الصين ولا في اليابان؟) وعلى أن الحداثة اليابانية «حداثة عرجاء»، إلى أن برز مؤرخون يابانيون جدد أشهرهم المؤرخ الياباني المعاصر كاتو شو إيشي. مؤرخون يعتبرهم المؤلف أكثر إنصافا. منذ حوالي عقدين من الزمن وصاروا إلى مراجعة هذه الرواية. وكان أول ما لفت انتباههم أنه لا توجد علاقة «تقدم وتأخر» بين حداثة الغربيين وحداثة اليابان حتى يصار إلى القول بأن هذه إنما «حاكت» تلك، وإنما يوجد «توازي» في سير الحداثتين

عَدَّ الثواني الحداثة «أواني» بالأولى؛ ومن ثمة رفعوا الشعار: «روح يابانية، وتقنية غربية». ولهذا لم يسلكوا هم في تحديث اليابان طريق التغريب، وإنما سلكوا طريق إعادة تأويل التقاليد وإبداعها من جديد، لا منسلين من ربققتها بالكلية، على طريقة التنويريين، ولا محافظين عليها كل المحافظة، على طريقة الجموديين.

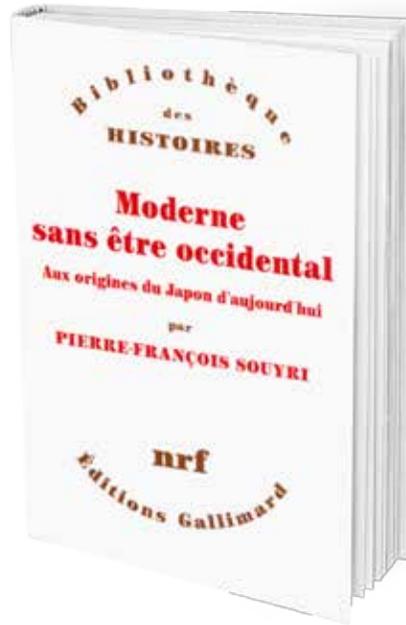
وإذن، يعتبر المؤلف أن «مروية الحداثة اليابانية» كما يرويها الغربيون والمتأثرون بهم من اليابانيين مزيفة ومضللة. ويرى أنه لئن كانت اليابان قد أفلحت في حداثتها، فذلك لأسباب أساسية غير الأسباب المعهودة: بدأت الحداثة اليابانية قبل ذلك التاريخ الذي يتحدث عنه الغربيون؛ أي قبل النصف الثاني من القرن الثامن عشر. كان هناك ما يسميه المؤلف «الحقبة الممهدة للحداثة»، أو «الحقبة للممهدة للتصنيع»، والمتمثلة في إحداث صناعة قروية شديدة الدقة عالية المهارة اليدوية، وفي فلاحة إنتاجية، وفي زيادة للإنتاج. وهو ما أدى إلى بناء «مجتمع اقتصادي» قبل الثورة الصناعية في نهاية القرن ١٩. وهي حقبة لا يمكن بأي حال فصلها عن حقبة الحداثة، كما يسعى إلى ذلك الغربيون. فقد مست عملية التحديث المبكرة كل مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والتقنية، بحيث أفضت إلى بروز «مجتمع الكتابة» نهاية القرن ١٨، حتى شهدت اليابان عام ١٨٤٠ قبل وصول الأمريكيين على وجود ٢٠ ألف مدرسة، وعلى ظاهرة المكتبات المتنقلة، كما شهدت على تكوين «مجتمع مديني واستهلاكي» قائم على «المحظيات» و«الإعلان»، وعلى تكون «مجتمع الفرجة»، اللهم باستثناء الناحية السياسية التي لم يمسهما تغيير. ولهذا الداعي اعتقد الغربيون أن اليابان كانت سابعة في غفوتها.

تطور الفكر الياباني تطورا مذهلا. وكان الفضل في ذلك لا يعود إلى عملية «تغريب» شمولية مزعومة، بقدر ما كان يؤول إلى تبني الفكر الكونفوشيوسي الصيني. حتى إنه لئن كان لنا أن نتحدث عن «تغريب» للفكر الياباني،

يطرح هذا الكتاب الإشكال التالي: «ما هي المسالك التي سلكها فكر المجتمع الياباني والتي من خلالها تساءل هذا الفكر عن ذاته خلال حقبة بناء دولة حديثة؟ كيف ولماذا ومتى نشأت في هذا البلد أشكال الحداثة وممارساتها؟ وفي النهاية، ما الحداثة يا ترى؟

وقد قام هذا الكتاب لدحض نظرية تبناها مفكرو الغرب وبعض منتوري مفكري اليابان على حد سواء. تقول هذه النظرية: الحداثة الغربية هي «المرجع» الأوحده، بل هي التي تجسد الحداثة في جوهرها، وما «الحداثات الأخرى»، إذا ما هو حَقَّق أمرها، سوى «خيارات فاسدة». وفي أمر حداثة اليابان، كان التأثير الغربي هو المحدد بلا مضافة. وقد عدت بهذا الصدد عشرينية ١٨٥٠-١٨٧٠ حاسمة. ثمة إذن «مروية» غربية «وهمية» عن اليابان: في البدء كانت اليابان بلدا غافيا منزويا بعيدا، فيودالي البنية، محافظ التقاليد؛ ثم لما جاء الأوروبيون حدثت الصدمة. كان الأمريكيون هم الواصلون الموقظون الأوائل، وهم يعتقدون أن اليابانيين أصغوا إليهم جيدا، وأنهم استوعبوا الدرس الغربي، وأنهم نجحوا في النهاية لأنهم قلدوا الغرب.

وكان أن وجد الغربيون في بعض مفكري اليابان من زكى مرويتهم هذه. نعم، دعا تنويريو اليابان، شأن فوكوزاوا، إلى الخروج مما اعتبروه «عبودية المجتمع الياباني التقليدي الفكرية»، إلى «الانعتاق الفكري»، وذلك حسب عبارة شهيرة لهذا المفكر التنويري: «دعك يا هذا عن آسيا، ويَمِّم بنا صوب أوروبا»، بما قد يشي بقبولهم مبدأ التحديث = التغريب. لكن المؤلف يجيب بالقول: هذه الدعوة كانت محدودة بأمرين: أولا؛ كان القصد منها «مواجهة» الغربيين، وإن باتباع طريقهم في الحداثة. وثانيا؛ هؤلاء التنويريون همَّشوا ولم تتح لهم فرصة حكم بلاد اليابان، بل إن خصومهم من الميجي. وهم المحافظون بامتياز. هم الذين مارسوا الحكم على الحقيقة وليس بالاسم. وإذ اعتبر الأوائل الحداثة «معاني»؛ أي قيما وطرائق تفكير غربية، شأن الفردانية والحرانية، ينبغي الاتساء بها، فقد



جنباً إلى جنب. فصير إلى تصور تاريخ التحديث الياباني على أنه كان ذا إيقاع «مضاهي» و«موازي» لإيقاع التحديث الغربي. وكان من أثر ذلك أن تم الكف عن طرح السؤال: ما الذي نقص الحداثة اليابانية حتى تسيير السير الحسن -الغربي-؟ وطفق في التساؤل، بالضد من ذلك، عن كيف نجحت حداثة اليابان -غير الغربية النزوع- بطريقتها الخاصة؟ فكان أن لم تعد تفهم الحداثة على أنها تقدم موصول، وإنما على أنها حركة تقدم وتراجع. مما يجعل انتكاسات الحداثة اليابانية جزءاً من الحداثة اليابانية نفسها وليس أمراً غريباً عنها. ومما يرفع عنها تهمة أنها حداثة «شوهاء». وإذا كان المؤرخ الياباني الشهير إيروكاوا دايكيشي قد افتتح كتابه عن اليابان عام ١٩٧٠ بالقول: «كم هو غريب بلد اليابان!» فإن مؤرخي اليابان الجدد يردون عليه اليوم: «كم كنت مخطئاً يا إيروكاوا! كلا وألف كلا ما كان اليابان بلداً غريباً، إنما اليابان بلد عادلاً»

وقد قادت هذا الأمر المؤلف إلى أن طرح «مروية أخرى» في هذا الشأن ترى أنه في نهاية القرن ١٩ تم وضع أسس الحداثة اليابانية التي لا ينكر بأي وجه أنها تدخل في مشتركات الحداثة الكونية، لكن على الطريقة اليابانية: خلق صناعة، بل اختلاق شعب، توحيد اللغة، إنشاء أدب وطني موحد، إنشاء تاريخ وطني، إنشاء جغرافيا وطنية، إعادة اختلاق تقاليد إمبراطورية ... وقد حدث كل ذلك في عشرينية ١٨٨٠-١٨٩٠ وبالموازاة مع ما كان يحدث أنها في بقية بلدان العالم، ولا فضل ولا سبق ... وبالجملة، نما تيار وطني، هو تيار الدراسات القومية، الذي أنشأ خطاباً قومياً متميزاً عن الصين، وطرح السؤال: ما أصل اليابان قبل وصول الصينيين؟ ما مباحث اليابانيين قبل وصول الغربيين؟ ولماذا تغيرت اللغة اليابانية؟

أكثر من هذا، لئن كانت أوروبا هي عادة ما كان يقدم دروساً إلى بقية العالم في شأن الحداثة، فإن لليابان، حسب المؤلف، ألف درس ودرس في الحداثة تقدمه إلى أوروبا، ليس أدناه أن النزعة البيئية -الوعي الإيكولوجي- بدأت عند اليابانيين حتى قبل أن تصير نزوعاً أوروبياً!

فقد ساغ الآن التساؤل: ترى ما هي سمات الحداثة اليابانية؟ يرى المؤلف أن للحداثة اليابانية سمات ثلاث: الحداثة اليابانية متنوعة، بله مهجنة بعناصر متعددة، بله قابلة للتصدير أحياناً كما في رياضة الجودو اليابانية التي غزت العالم بأكمله ...

أخيراً، لا ينكر المؤلف أن ثمة ما يسميه «نحو مشتركاً للحداثة»، لكنه يرى أن الحداثة «تنويعات» ومن أهمها «تنويعات حداثة اليابان». والحال أنه كان قد شرع في الحديث عن «الحداثات المتعددة» منذ نهاية التسعينات. والشرارة الأولى التي انقذ عنها القول بالحداثات المتعددة إنما هي نواة فكرية تقول بوجود أشكال من الحداثة ثقافية خاصة شكلتها مختلف الموارث الثقافية والشروط الاجتماعية والسياسية. وهي أشكال تختلف عن بعضها البعض في نظام قيمها وفي مؤسساتها. وكل هذا التحول خرج من معطف «المنعطف الثقافي» ...

ومن يكون مفكرو «الحداثات المتعددة» الذين أوماً إليهم المؤلف من غير أن يقف عندهم الوقفة؟ هم كثر بحيث يصعب عددهم، لكن أهمهم اثنان: الفيلسوف الكندي تشارلز تايلر (١٩٣١ - ) والمفكر الاجتماعي اليهودي

الحداثي رجل مثل توكفيل. وثاني الحداثات المتعددة النماذج الآسيوية كما تحققت في اليابان والهند والتايلاند ... مثلاً ...

هذا وتقوم فكرة «الحداثات المتعددة»، عنده، على بعض الفرضيات حول «طبيعة الحداثة»:

الحداثة حضارة مختلفة. والحضارة تعني، عنده، أمرين: سمات ثقافية ومؤسسات خاصة (برنامج ثقافي وتنظيم مؤسسي). وهي حضارة تقطع مع تطور المجتمعات القديمة.

هذه الحضارة، التي هي برامج ثقافية وتنظيم مؤسسي، «تبلورت» أول ما تبلورت في الغرب، ثم سرعان ما بدأت تتشقق. ويذكرنا انتشار الحداثة بانتشار الأديان العالمية. وقد نشأت عن هذا التبلور في البلدان المختلفة نماذج ثقافية ومؤسسية في تحول دائم، فكان أن لم نصر أمام حداثة. حضارة. نمطية وإنما أمام حداثات متعددة.

والخلاصة التي ينتهي إليها بيير-فرانسوا سويري أنه كلاً ما كان الأوربيون هم الأوصياء على الحداثة، وإنما هناك أشكال أخرى للحداثة، وأن علينا تغيير سلم الرؤية حتى ندرك هذا الأمر.

على أن النغمة غير المنسجمة التي تنبعث من هذا الكتاب هي رؤية المؤلف التشاؤمية للحداثة، لا سيما منها الغربية، حيث ينتهي إلى تعريف الحداثة، في نهاية المطاف، على أنها المقدرة على قتل أكبر عدد من الناس -في إشارة منه إلى نزوعها التقني الحربي-. وهو يستجد في ذلك، في مقدمة الكتاب، بما ذكره صاحب «كتاب الشاي»، حين قال: «لقد تعود الغربي على اعتبار اليابان بلداً متوحشاً طالما لم تكن تقام به إلا فنون مسالمة -كفن طقوس حفل الشاي-، وقد اعتبر اليابان بلداً متحضراً ما أن شرع في ممارسة القتل على نطاق واسع في معركة منشوريا». وهو الكاتب الياباني نفسه الذي يختم هذه الملاحظات بالتساؤل: متى إذن يفهم الغرب الشرق أو يسعى إلى فعل ذلك؟

على أن المؤلف يختم كتابه بالقول: لا ينبغي علينا أن نعتبر التحديث مجرد إحصاءات فحم وصلب، أو مجرد تقدم نوعي في مستوى العيش، وإنما هو يكمن، فضلاً عما تقدم. وهذا هو الأمر الجوهرى في نظره. في هذه المقدرة على إحداث تقليد نقد ورفض وتمرد: رفض للأهداف التي تحددها الدولة للمجتمع، ورفض للأنماط الجديدة للرقابة الاجتماعية، ورفض للإيديولوجيا القوية المهيمنة. وإنما نقد الحداثة جزء من الحداثة وليس يقع خارجها. ومن أدانها، فلربما تكمن الحداثة اليابانية. أساساً. في قدرتها على إسماع الخلافات التي ما فتئت تثيرها؟

صمويل نوح آيزنشتات (١٩٢٣-٢٠١٠). ذلك أن تايلور يذهب إلى أن نظرية الحداثة الواحدة تعاني من نقص شديد: إذ يمكن أن نفهم كيف أنه في السنوات ١٩١٠ كان الناس يفكرون على هذا النحو؛ لأنه آنذاك فقط المجتمعات الغربية كانت قد تحدثت، وكان ثمة ضرب واحد من الحداثة. لكن اليوم ظهر أن ثمة أكثر من نموذج للحداثة، بما في ذلك في الغرب نفسه. وهي نماذج مرتبطة بتعدد النماذج الثقافية، وذلك لأن التغيرات الثقافية ليست متناغمة. ويتساءل: هل الإخفاق في تحقيق الحداثة على النمط الغربي يعني الإخفاق في تحقيق الحداثة ذاتها؟ يرى تايلور أن ظاهرة «الحداثات المتعددة» تدل على استحالة حداثة واحدة مفردة، وأن تطبيق معيار واحد على مختلف المناطق في العالم يمكن أن يقود إلى ضرب من تحصيل الحاصل: عندما نقول بأن بلداً ما قد أخفق في التحديث، فإننا نعتبر عادة النموذج الغربي للحداثة معياراً للنجاح، وفي هذه الحالة القول بأن النمط الغربي في الحداثة غير ناجح يضاهي القول بأنه غير غربي. وإذا ما نحن طرحنا السؤال على المفكر الاجتماعي آيزنشتات: «أهناك في نظركم حداثة بالمفرد أم حداثات بالجمع؟» فإن جوابه يكون على النحو التالي: لطالما اشتكى الرجل من الطابع المهيمن للنموذج «الغربي» للحداثة، مدققاً، أولاً، في معنى «الغربي» الذي يجده «مُشكلاً»؛ لأنه معنى «مُتخيل» أكثر مما هو معنى واقعي. وإذا كان يعد هذا النموذج «مرجعاً» في الحداثة، فإنه ليس في ذاته لا نموذجاً «ثابتاً» ولا نموذجاً «متناغماً». والذي عنده: إنما الحداثة حداثات، لأنها برامج ثقافية متعددة. فالتغريب Westernization والحداثة ليسا سواء. ونماذج الحداثة الغربية ليست هي الحداثات الوحيدة الحقة الأصيلة، رغم أنها لعبت دور «السابقة التاريخية» وتستمر في كونها «المرجعية الأساسية» للأخرين. وأول الحداثات المتعددة عنده كانت «غربية»، هي حداثة الأمريكيتين. الولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا اللاتينية. وقد أبرز توكفيل سمات النموذج الحداثي الأمريكي وبين كيف يختلف عن النموذج الأوربي. وإن لم يسمه «حداثة». وأمريكا اللاتينية لم تحظ بشرف أن يحلل نموذجها

الكتاب: *Moderne sans être occidentale*  
*Aux origines du Japon d'aujourd'hui*

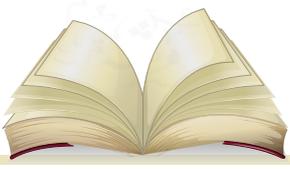
المؤلف: Pierre-François Souyri

اللغة: الفرنسية.

دار النشر ومكانه: NRF, Editions Gallimard, Paris, France

سنة النشر: 2016.

عدد الصفحات: 490



# في الإيمان والسياسة.. لحيدر جمال

## فيكتوريا زاريتوفسكايا\*

صدر مؤخرا من أكبر دور النشر في مدينة سانت بطرسبورغ الروسية هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه سلسلة محاضرات لواحد من الشخصيات البارزة في روسيا الحديثة؛ رئيس اللجنة الإسلامية الروسية، الفيلسوف والخبير في مسائل اللاهوت والفلسفة والسياسة الحديثة حيدر جمال الذي توفي في كانون الأول / ديسمبر من عام ٢٠١٦. ويهدا الكتاب يكون قد ختم عمله ووضع شهادته الأخيرة لحياته الفكرية. وإذا أردنا تحديد الأطر الفكرية التي طبعت مجمل اشتغالاته فيمكن الإشارة إلى اتجاهين رئيسيين، أولهما اتجاه مقاوم للنظام العالمي المفروض من القوى الكبرى وإغفال مفاهيم العدالة والمساواة بين سكان المعمورة والثاني يتعلق بميول الكاتب الدينية التقدمية ومحاولاته صياغة رؤية تجمع بين الفكر اليساري والدين الإسلامي، أو بكلمة أدق استخراج البعد اليساري من روح الإسلام.

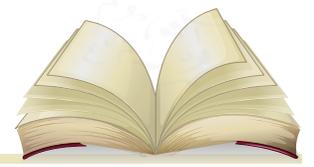
استطاع تحويلها إلى القوة الأولى للدولة، بل هي كل شيء في الدولة. وكانت الإمكانيات متاحة لكل فرد من أفراد المجتمع للمساهمة في بناء الدولة وتولي المناصب في جميع المجالات. أضف إلى ذلك، وهنا مكن القوة الفعلية، أن الإقدام على العمل لدى أفراد المجتمع لم يُفرض من الأعلى كعمل قسري وإنما تولد من رغبة داخلية وإلحاح ضمني. ففي إنجلترا، على سبيل المثال، تم طرد الفلاحين من الأرض من أجل تحويلهم إلى عمال بما عرف حينها بعملية التسييح أو التطويق، بينما في دولة ستالين كان التغيير منهجا اجتماعيا» (ص ١١٠-١١١). تكونت مثل هذه الحالة في التاريخ الاجتماعي والسياسي الروسي أول مرة في عهد الإمبراطور بطرس الأكبر الذي حكم البلاد في بداية القرن الثامن عشر والمرة الثانية كانت في عهد ستالين ولم تتكرر من بعد ذلك مطلقا. وفيما يتردد أن مثل هذه النهضة التاريخية تشهد ولادة ثالثة في الوقت الراهن، فإن جمال ينفي مثل هذا التصور بقوله: «إن توطين مثل هذه الحالة يحتاج إلى ظروف وقدرات خاصة. فأين هم اليوم أفراد المجتمع الذين يحلمون ويسعون لبلوغ المراحل العليا ابتداء من نقطة الصفر؟ إن الجميع أو الغالبية الساحقة ممن يقطنون الأرض الروسية اليوم تلبسهم فكرة كاذبة عن أهميتهم (...). لديهم فكرة جيدة عن الحياة الاستهلاكية العالمية، ولكنهم لا يرغبون في حمل الأداة وشق القنوات في البحار مثلما كانوا يفعلون في العهد السوفيتي. لذلك لا يمكن أن يصنعوا قفزة نوعية للخروج من وضعهم

إلى النظام الإمبراطوري. وترتبط هذه الفكرة ارتباطا وثيقا بعودة ما يسمى «عبادة ستالين» في روسيا، الزعيم السوفيتي الذي أصبحت الدولة الروسية أو السوفيتية في عهده، ولأول مرة في تاريخ البلاد، شريكا للغرب الكبير وندا حقيقيا له، وتم في فترة حكمه القضاء على الأمية وتحولت روسيا من بلد زراعي إلى قوة نووية عظمى. ومن المثير للاهتمام أن المؤلف لا يقرن ظاهرة الستالينية بالقمع والعنف اللذين طالما ارتبطا باسمه فنراه يكتب: «ثمة كثيرون ممن يخلطون بين مختلف الظواهر ويربطون بين الستالينية وبين يد الحاكم الباطشة. إليكم الأرجنتين مثلا، كان فيها زعيم عسكري قوي ولكن الأرجنتين لم تحقق شيئا من النجاحات التي أنجزت في الفترة الستالينية للدولة السوفيتية. وهاكم فرانكو في إسبانيا الذي لم ينشئ إمبراطورية بالرغم من قوته وطموحاته. الشيء نفسه يقال عن الزعيم البرتغالي سالازار الذي ظلت دولته ترفل في البؤس ولم تستطع أن تبلغ مستوى بعض البلدان الأوروبية المتوسطة اقتصاديا» (ص ١١٢). أما ستالين فقد بنى إمبراطورية، وهي وفق تعريف حيدر جمال «حالة خاصة جدا في مجال التطور واستثمار القوة الكامنة لدى الأفراد حيث كل ساعة من حياة الشخص لها قيمة في الدولة وحيث معدل البطالة وإهدار الوقت يقتربان من الصفر، وبالتالي كان لطاقة الفرد والوقت قيمة كبرى. كما استطاع ستالين تحويل الفئة الدنيا من المجتمع، وهم السواد الأعظم من الشعب والطبقة الحقيقية للدولة،

يستند الكتاب إلى العديد من المقالات والمحاضرات والمقابلات المكرسة لحياة المجتمع الروسي ومسائله السياسية المعاصرة مثلما تشير إلى ذلك عناوين فصوله، وهي من قبيل: «المواجهة بين الشرق والغرب»، و«الانتهاء من فكرتي اليسار واليمين»، و«من الذي سيحل محل البروليتاريا في دور الهيمنة»، و«استحالة العودة إلى الستالينية»، و«الشخص العادي وأسطورة التقدم... إلخ. إلى جانب مسائل أخرى تتأمل في الإنسان ومكانته في العالم المادي والروحي وهو ما تشير إليه فصول الكتاب التي جاءت تحت عناوين من بينها «هل للحرية مكان في عالمنا؟» و«الألم والمجتمع» وغيرهما من العناوين.

يأخذ الكتاب خطأ تصاعديا يبدأ من مواضيع ومسائل بسيطة ومبدولة بين الأفراد ثم يرتقي تدريجيا إلى مسائل أكثر تعقيدا وارتباطا بالمتأخرات الثقافية ودينية ويستخلصها من التاريخ الروسي والعالمي، وعبر أفكاره التي غالبا ما تتسم بالحداثة وتجنح إلى مناطق غير مطروقة، يجتذب حيدر جمال قارئه إلى عالم الإيمان ويفتح له قنوات إلى أغواره العميقة.

يضع صاحب الكتاب رؤيته المستقبلية للعالم ودور روسيا ومصيرها في هذا المستقبل، يضعها موضعا لافتا من مجمل عمله. كما يخصص عدة فصول من كتابه للقضايا التي اكتسبت أهمية خاصة في المجتمع الروسي في السنوات الأخيرة كتعزيز دور روسيا على الصعيد العالمي واحتمال تحولها من جديد



تتعدى طموحاته حدود جسده، الذي بدوره لا يبتغي شيئاً سوى الراحة اليومية. وبالمقارنة مع هذا الإنسان، وبعودتنا مائة سنة إلى الوراء سنجد أن الغالبية الساحقة من سكان المدن، ناهيك عن سكان الريف، كانوا ينضون تحت عقيدتهم الدينية التي تعني فيما تعنيه الإيثار والتضحية والجاهزية لضبط النفس والبدن. وفي روسيا كانت المثل الأخلاقية العليا شائعة في طبقة النبلاء وكان ثمة نموذج أخلاقي يحتذى به في صياغة العلاقات العامة والويل لمن يتجاوزها، حيث العار يقف بالمرصاد. ويرى جمال أن السبب الرئيسي لأزمة المواطن الحديث هذه في أنه «حتى الخالق أصبح مؤسسة اجتماعية، والطبيعة تحولت إلى مؤسسة اجتماعية» (ص ٥٤).

وفي انتقاداته للمجتمع الحديث يتخذ الكاتب من اللغة مرجعاً يتم من خلاله إحياء الفكر أو قتله. يقول في ذلك: «إن لغة المجتمع العالمي اليوم تتخلى شيئاً فشيئاً عن وظيفتها كأداة تفكير وتغدو وسيلة من وسائل الاتصال وحسب، ثم وسيلة لما بعد الاتصال، وفي المرحلة النهائية ستصبح اللغة مجموعة من الإشارات غير القادرة على إنتاج حديث متماسك إذ ستغيب فيه قيمة المحتوى» (ص ٥٥).

في الختام يعتقد المحلل السياسي الروسي بوريس كاغارليتسكي الذي عرف حيدر جمال جيداً وكان صديقاً له يعتقد أن تراث جمال الفكري تراث مثير للجدل، وبأن صاحبه شخصية برزت في الحياة الفكرية والاجتماعية الروسية. يكتب عنه قائلاً: «لقد تبدلت أفكاره ووجهات نظره وتقلبت كثيراً إلى حد التناقض أحياناً. وكان يعبر عن آراء غامضة يختلط فيها اليمين باليسار. مع ذلك فقد فعل الكثير من أجل عملية تطوير حركة اليسار وشارك في إنشاء «جبهة اليسار»، والأهم أنه بذل جهداً في إعادة تفسير الإسلام ودور الدين في الحياة المعاصرة».

الكتاب: في الإيمان والسياسة.

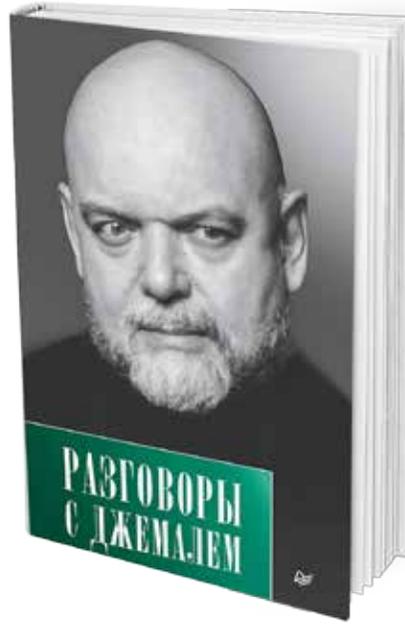
المؤلف: حيدر جمال.

الناشر: دار بيتير للنشر، سانت بطرسبورغ ٢٠١٧.

اللغة: الروسية.

عدد الصفحات: ٤٠٠ صفحة.

\*أكاديمية ومستعربة روسية



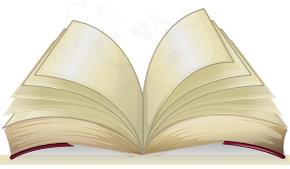
ووفقاً لجمال فإن «تاريخ البشرية منقسم إلى اتجاهين، خير مثال للاتجاه الأول ما يشكله التقليد اليهودي، حيث الدم هو أساس المجتمع وهو الحصن الحصين في مواجهة آفات الزمن، وبالموازاة يقل في هذا الاتجاه الاعتماد على مكان الإقامة. الاتجاه الآخر تجسده الولايات المتحدة حيث تُبنى الدولة على مساحة محددة وبسواعد حشد من العمال ينتمون إلى طيف متنوع من الجماعات» (ص ١٥٢). إن أمريكا من منظور حيدر جمال منطقة خالية أساساً من أي محتوى بشري، وبالتالي لديها قابلية لتمتلي بأي محتوى منه. وثمة مثال ثالث يجمع بين تقديس المكان وتنزيه المحتوى ألا وهو الصين.

في فصل من الكتاب بعنوان «لماذا تلعو الأقاليم على الشعوب؟» يحاول المؤلف تحديد أي من الاتجاهين الرئيسيين سابق الذكر ينطبق على روسيا، فيستنتج أن روسيا تنتسب إلى المناطق التي يمثل لها المكان فكرة رمزية وبأنها لا تهتم بالوافدين إليها. «إنها تعيش حياتها الخاصة وتحتضن من يفد إليها لاستخدامهم من أجل تحقيق فكرتها بنفسها» (ص ١٥).

لم يهمل المؤلف موضوع الدين ففرد له فصلاً خاصاً جاء تحت عنوان «رجل الشارع وخرافة التقدم» ناقش فيه مسألة أزمة الوعي لدى الإنسان الحديث ورسم صورة جديدة للشارع الروسي المعاصر الذي يحتقر الاجتهاد الروحي ويرنو إلى الحياة الاستهلاكية ويعيش خوفاً دائماً من العقوبة ويعشق موسيقى البوب، وفوق ذلك لا يداخله الشك في أنه جزء لا يتجزأ من عجلة التقدم البشري. هذا هو الإنسان الذي لا

الحالي. بالطبع بإمكان الناس أن يتوهموا أنهم ينتمون إلى روسيا القادرة على جعل الآخرين يركعون أمامها. ولكن هذا محض خيال. لذلك فالنقلة النوعية يجب أن تكون من الصفر إلى المائة، ومن حالة الجليد إلى البخار، بينما طبيعة الواقع (الروسي) اليوم طبيعة رخوة» (ص ١١٦).

فصول أخرى من الكتاب كرسها المؤلف للمسائل الثقافية وخاصة للتحليل المقارن بين الظواهر التي يتم استيعابها بشكل مختلف بين الغرب والشرق (ويُعرف المؤلف روسيا باعتبارها بلداً شرقياً). ففي فصل «الأطلسي وأوراسيا» يتأمل الكاتب في طبيعة الكذب في الدعاية السياسية لمختلف القارات. ووفقاً لملاحظات جمال فإن الكذب «يرتقي في بلدان أوراسيا إلى مرتبة الأسطورة المتجذرة والمتفرعة في أرض الحياة. أما في بلدان ما وراء المحيط الأطلسي، وفي طبيعتها الولايات المتحدة، يُستخدم الكذب كأداة مؤقتة لمعالجة قضايا ملحة ويكون بمثابة غلاف يحجب جانباً من الحقيقة (...) إن الكذب الأوراسي هو نوع من الدعاية الساذجة، مثلما حدث مع قصة الصلب على سبيل المثال. فربما لم تكن هذه القصة هي نفسها كما وصلت إلى الناس، أو لربما تكون مختلفة برمتها، مع ذلك فهي مزروعة في أذهان الناس مثل ضربة مسمار (...) أما منتجات الدعاية الغربية فهي خليط من الحقائق والأكاذيب، ولكن يتم إعادة صناعتها حتى تغدو نسخة طبق الأصل من الحقيقة، ذلك لأن الصورة المثلى للغرب لا تتسامح مع الخليط وتدعي النقاء دئماً (ص ٧٤-٧٥) وفي السياق نفسه يتطرق الكاتب إلى عملية الخداع الذي تنطوي عليه الدعاية الغربية فيضرب أمثلة على طريقة ترسيمهم للتاريخ والأحداث العالمية، حيث يبدو معها أن الغرب في منأى عن الوحشية التي هي صفة من صفات الآخر غير الغربي. مثلاً لذلك نجد صورة القيصر الروسي إيفان الرهيب في المخيال الغربي مغلفة بالرعب ومشبعة بالدماء، بينما الحقيقة أن قسوة إيفان الرهيب لا تقاس بجبروت ملوك أوروبا ودمويتهم ومنهم هنري الثامن ملك إنجلترا وكارل التاسع في فرنسا. مسألة أخرى أحاطها المؤلف باهتمامه تتمحور في تناقض تقاليد شعوب العالم الثقافية المتعلقة بموضوع «الأرض والبشر» واختلاف أولوية إحدى هاتين الظاهرتين من بلد إلى آخر.



# العالم الجديد الغامض: نهاية العولمة، عودة التاريخ .. لستيفن كينغ

محمد السالمي \*

كثيرا ما نسمع عن مصطلح «العولمة»، ويفهم عموما بأنه جعل العالم قرية صغيرة، ويتم ذلك عبر التكامل الاقتصادي بين الدول من خلال تدفقات التجارة ورؤوس الأموال والبيانات والناس عبر الحدود. وقد دفعت الولايات المتحدة وبلدان أوروبا الغربية، مدفوعة بدمار حربين عالميتين، مشروعاً لإقامة نظام اقتصادي دولي والحفاظ عليه استناداً إلى المنافع المشتركة للانفتاح. وقد استطاع هذا المشروع أن يحقق طفرة في دخل الفرد العالمي منذ الخمسينيات، كما استطاع تخفيف أزمة الفقر المدقع منذ أوائل التسعينيات. ولكن هذا التوافق بين صناع القرار الأمريكيين والأوروبيين يختبر مدى استجابته للتحديات المقبلة. في مطلع عام ٢٠١٧، كانت الأدلة تتراكم وتثبت أن عولمة الاقتصاد العالمي، وعلى نطاق أوسع النظام الليبرالي الدولي، في تراجع طويل الأمد. حيث عانى الاتحاد الأوروبي من أزمة اللاجئين التي اختبرت التزام الحكومات بالانفتاح والتعاون، وأوجدت بعض الرغبة الشديدة في حملة تهيمن عليها الهجرة والعودة إلى السيادة الوطنية، فصعد أشخاص على الساحة السياسية مثل مارين لوبان ووصولها إلى الجولة النهائية من الانتخابات الرئاسية الفرنسية، وظهور رئيس الوزراء الهنغاري فيكتور أوربان وتصريحه بكل فخر بتحويل بلده إلى «ديمقراطية غير ليبرالية» ترفض قبول اللاجئين، يطرح العديد من التساؤلات. ومن جهة أخرى عكست المملكة المتحدة عقودها الأربعة من الاندماج السياسي مع أوروبا القارية وصوتت لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. والأكثر من ذلك أن الولايات المتحدة قد انتخبت لتوها رئيساً يبدو أنه مصمم على تدمير دور أمريكا باعتبارها هيمنة جيوسياسية ومرساة للاقتصاد العالمي.

التنافسية، والانخفاض النسبي للولايات المتحدة. وقد ظهر عدم المساواة كقضية سياسية ملحة في أعقاب الركود الكبير. وتغلب ثروة العولمة بشكل كبير نحو أعلى واحد في المائة من أصحاب الطبقة الوسطى الناشئة في آسيا. وحقت أعلى نسبة مئوية في الولايات المتحدة بـ ٤١٪ من إجمالي الزيادة الصافية في الثروة منذ بداية الثمانينيات من القرن الماضي، كما أن أصحاب الدخل المتوسط في الصين، الذين ما زالوا أقل ثراء بكثير من الطبقات المتوسطة في الاقتصادات المتقدمة، قد شهدوا أن دخل الفرد الحقيقي أكثر من الضعف بين عامي ١٩٨٨ و ٢٠٠٨. وفي الوقت نفسه، شهدت الطبقة الوسطى الدنيا في البلدان الغربية الصناعية نمواً صغيراً أو محدوداً في الدخل الحقيقي، مما خلق تشاؤماً هائلاً في الديمقراطيات الغربية بشأن عدالة الاقتصادات المعولمة. ووفقاً لمسح بيو للمواقف العالمية فإن ٣٠٪ فقط من الأمريكيين و ٢٣٪ من البريطانيين و ١٣٪ من الفرنسيين يعتقدون أن الجيل القادم سيكون أفضل مالياً من والديه. وبالمقارنة، في الصين، هذا العدد هو ٨٥٪.

ويضع كينغ أيضاً قضية مقنعة عن الكيفية التي يمكن أن يهدد بها التقدم التكنولوجي والسياسة النقدية، اللذان كانا من الدوافع الأساسية للعولمة. فنظام الائتمان والروبوتات تستعد لتدمير سلاسل التوريد العالمية. ومع انخفاض تكلفة العمل، ستحضر

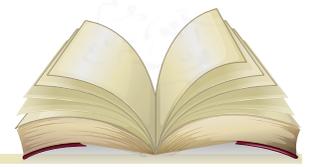
واقصاداتنا وتطور نظامنا المالي محلياً وعالمياً». فعندما تقوض الأفكار القائمة وتنهار البنية التحتية المؤسسية، فمن غير المحتمل أن توفر أي تكنولوجيا جديدة اليوم. إن أفكارنا ومؤسساتنا تتغير مع انتظام مقلق».

كما يشير الكاتب إلى أن نظامنا الاقتصادي الدولي الحالي معرض لخطر الوفاة بنفس نهاية العصر الأخير للعولمة غير المقيد الذي بدأ من منتصف القرن التاسع عشر حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى. شهد الاقتصاد المعولم في أوائل القرن العشرين نمواً ملحوظاً مكنته قيادة المملكة المتحدة، وإمكانية التنبؤ بمعيار الذهب، والتقدم التكنولوجي السريع. وزادت التجارة العالمية من ٨ مليارات دولار في عام ١٨٩٦ إلى أكثر من ١٨ مليار دولار في عام ١٩١٣، وبلغت الاستثمارات الدولية ٤٤ مليار دولار، وارتفعت نسبة الهجرة بشكل ملحوظ. ومثلما حدث اليوم، رأى كثير من المراقبين في ذلك الوقت أن الاقتصادات المفتوحة عادية ومحددة. وهذا النظام المعولم، بطبيعة الحال، كان يقوم على ممارسات الاستعمار غير العادلة بطبيعتها، والتي ثبت أنها تسقط.

ويخشى كينغ من أن تؤدي التهديدات الحالية للعولمة إلى فترة أخرى من التفكك والصراع والاضطراب. ويركز بشكل خاص على عدم المساواة المتزايد، والهجرة الجماعية، والتكنولوجيا المدمرة، والسياسة النقدية

يقدم ستيفن كينغ في كتابه، «العالم الجديد الغامض: نهاية العولمة، عودة التاريخ - ملخصاً رائعاً حول تاريخ العولمة وكيف وصلنا إلى هذه المرحلة، ويقترح أننا قد نكون عند نقطة تحول. فكينغ هو أحد أكبر المستشارين الاقتصاديين في بنك «HSBC»، ومجلس العموم البريطاني، كما أنه يعمل صحفياً. قبل عقد من الزمن، رأى العديد من الاقتصاديين والسياسيين والصحفيين أن العولمة هي أفضل طريق لتحقيق الازدهار الاقتصادي للجميع. يعتقد كينغ أن الأزمة المالية العالمية قد أضرت بثقة الكثير من الناس في المؤسسات والنخب التي تقترح المزيد من العولمة. وفي الغرب، أهتمت العولمة بزيادة عدم المساواة والهجرة غير المرغوب فيها. ويبدو أن الديمقراطية الليبرالية والقيم الغربية تتراجع في جميع أنحاء العالم. والعديد من البلدان تتراجع عن الحريات المدنية والديمقراطية والصحافة الحرة. كما شهدنا عودة القادة الأوتوقراطيين مثل: بوتين، وأردوغان، والسيسي، ودوتيرتي، على حسب وصف الكاتب.

يعتقد كينغ أن انهيار العولمة قد يكون وشيكاً ويستحيل تجنبه. فبمجرد اعتبار أن التكامل الاقتصادي العالمي لا مفر منه، فإن ذلك يتوقف على الأفكار التي تتطلب دعماً واسعاً. وقال: «إن العولمة لا تقتصر على التقدم التكنولوجي فحسب، بل أيضاً من خلال تطوير أو إزالة الأفكار والمؤسسات التي تشكل سياستنا،



كانت الهجرة دائماً جانباً رئيسياً من جوانب العولمة. في القرن التاسع عشر، هاجر ٦٠ مليون أوروبي إلى الأمريكيتين وأستراليا. وبحلول عام ١٩١٠ كان ثلث سكان الأرجنتين ونيوزيلندا تقريباً من المولودين في الخارج. وبمجرد أن يؤسس المهاجرون أنفسهم، يضعون حواجز لمنع الآخرين من الوصول إليهم. وقد ازداد مستوى الهجرة إلى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية زيادة كبيرة في السنوات الأخيرة. وقد تسبب هذا الانبعاث في الهجرة في رد فعل سياسي في الغرب، لأسباب اقتصادية وثقافية على السواء. ويعتقد كينغ أنه من المرجح أن يكون هناك تدفقاً أكبر بكثير للمهاجرين في المستقبل، وسوريا هي مجرد بداية. وقد يلتزم مواطنو بلدان كثيرة اللجوء إلى الغرب للهروب من الدول الفاشلة، وعواقب تغير المناخ، أو تعزيز فرصهم الاقتصادية. ومن المتوقع أن ينمو عدد سكان أفريقيا بشكل كبير. بلغ عدد سكان نيجيريا ٣٥ مليون نسمة في عام ١٩٥٠. وبحلول عام ٢١٠٠ تتوقع الأمم المتحدة أن يصل عدد سكانها إلى ٧٣٠ مليون نسمة. هناك بالفعل احتكاك بين المسلمين في البلاد (٤١٪) والمسيحية (٥٨٪) والمجتمعات المحلية وهذا يجعل الحرب الأهلية ممكنة. ويجادل كينغ بأن معظم السياسيين لم يحددوا ما يجب فعله بشأن قضية الهجرة أو كيفية استيعاب أعداد كبيرة من الناس من المناطق الأكثر فقراً في العالم. وتميل النخب إلى دعم الهجرة، ولكن الناخبين العاديين بدأوا في التمرد. صعود دونالد ترامب وماري لوبان في فرنسا قد يشير إلى نهج مختلف.

يقدم الكاتب نظرة تشاؤمية ومثيرة للجدل في نهاية العولمة وما يعنيه الازدهار والسلام والنظام الاقتصادي العالمي والعولمة. استطاع الكتاب الجمع بين التحليل التاريخي مع الشؤون الراهنة. يصور كينغ هذا العالم الذي تحكمه الدول المتنافسة مع أهداف متضاربة قد تبدو، وكيف أن السعي وراء أجناس وطنية يمكن أن يؤدي إلى سباق نحو القاع. كما يرى أن رفض العولمة والعودة إلى «الاكتفاء الذاتي» سيؤديان إلى النزاع الاقتصادي والسياسي، ويستخدم دروساً من التاريخ لقياس أفضل الطرق لتجنب أسوأ النتائج الممكنة.

اسم الكتاب: Grave New World: The End of Globalization, the Return of History

المؤلف: ستيفن د. كينغ

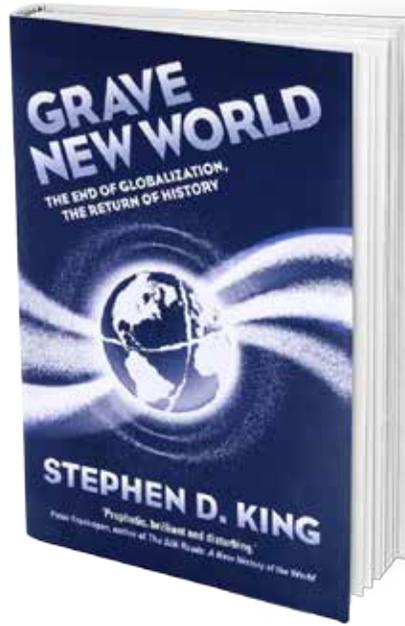
عدد الصفحات: ٣٠٤ صفحة

الناشر: Yale University Press

سنة النشر: ٢٠١٧

اللغة: الإنجليزية

\* كاتب عماني



الدول الغربية «قد أدى إلى الشعور بالاستبعاد، مما أدى إلى انهيار الثقة بين النخبة وبقية الشعب». وقد يؤدي انتخاب ترامب وإلغاء الشراكة عبر المحيط الهادئ (اتفاقية تجارية مع آسيا) إلى عودة الحمائية. لقد أصبح العديد من الناس العاديين، وليس حشد دافوس، مشبوهين وموجة شعبية مناهضة للعولمة اجتاحت العالم في العام الماضي.

كما أن الكاتب قلق بشأن الانخفاض النسبي للولايات المتحدة. وبما أن نصيبها من الناتج المحلي الإجمالي العالمي ينخفض فقد أثر على دورها القيادي. بعد عام ١٩٤٥، كانت أميركا رائدة في مجال الهندسة المعمارية وفي مجال العولمة وراعيتها الرئيسي. وقد لعبت دوراً حاسماً في إعادة بناء الاقتصاد الأوروبي بعد الحرب العالمية الثانية. وأنشأت أول مؤسسة مالية واقتصادية عالمية - صندوق النقد الدولي. والبنك الدولي، ومجموعة «GAAT»، التي أصبحت الآن منظمة التجارة العالمية. وقدمت مساعدات مالية على شكل خطة مارشال لإعادة إعمار أوروبا، وهذا ما يعادل ١٣٠ بليون دولار اليوم. وكثيراً ما تصرف كشرطي عالمي. ويشعر كينغ بالقلق من أن الولايات المتحدة تتراجع عن دورها القيادي. ويشير انتخاب ترامب إلى أن الناخبين الأمريكيين قد يكونون متعبين من مسؤوليات البلاد العالمية ويريدون أن يضعوا «أمريكا أولاً». ويشير إلى أنه بدون رعاية أمريكية ربما لا يوجد مستقبل للعولمة ذات النمط الغربي. ويعتقد أن الصين قد ملأ هذا الفراغ وهي الآن تتحدى سلطة أمريكا في آسيا، وتقوم أيضاً ببناء مؤسساتها الخاصة في بريتون وودز - المصرف الآسيوي للاستثمار في الهياكل الأساسية ومنظمة شنغهاي للتعاون. كينغ يشعر بالقلق من أننا قد نرى «عودة ظهور التنافس الإمبراطوري» بين الولايات المتحدة والصين وروسيا.

الشركات بصورة متزايدة على خفض تكاليف النقل عن طريق تحويل الإنتاج إلى نفس البلد الذي يقصد فيه استهلاك السلع. وفي حين أن التدفقات العالمية لرأس المال والبيانات والخدمات من المرجح أن تستمر، فإن انخفاض الناتج بين الأمم يمكن أن يسهل بسهولة ظهور اقتصاديات حمائية وسياسات خارجية أكثر عدائية. وبالإضافة إلى ذلك، وفي غياب التنسيق الدولي في أعقاب الركود الكبير، لجأت الكثير من البلدان ومصارفها المركزية بشكل متزايد إلى السياسة النقدية لحل المشاكل المحلية مثل البطالة والنمو والاستقرار المالي. ويخشى كينغ أنه في عصرنا الحالي من بقاء النمو، يمكن أن ينتقل هذا الاتجاه بسهولة إلى فترة «حروب عمل لا نهاية لها» حيث إن البلدان تحول عبء التكيف الاقتصادي إلى بعضها البعض.

إن مدى التراجع الاقتصادي النسبي للولايات المتحدة هو موضوع نقاش مستمر بين خبراء السياسة الخارجية. في الستينيات من القرن الماضي، كان الاتحاد السوفيتي المنافس الرئيسي؛ وفي الثمانينات، كانت اليابان؛ أما اليوم فهي الصين. ويؤكد كينغ أن حصة الولايات المتحدة وأوروبا المتقلصة من الاقتصاد العالمي، إلى جانب صعود الصين والهند والاقتصادات الناشئة في جنوب شرق آسيا، ستخلق صراعات على نحو متزايد حول الاتجاه المستقبلي للاقتصاد الدولي. هذا التوتر يتجسد بالفعل في تصريح الرئيس الصيني شي جين بينغ عن العولمة في المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس عام ٢٠١٧، قائلاً: «إن المشاكل التي تثير القلق في العالم لا تنجم عن العولمة [...] يجب ألا نعود إلى الميناء كلما واجهنا عاصفة أو لن نصل أبداً إلى الشاطئ المعاكس». ولكن رؤيته للعولمة تهدف في المقام الأول إلى تعزيز المصالح الاقتصادية والجيوسياسية للصين، وليس لتعزيز النظام القائم. على سبيل المثال، تمكن سياسة «حزام واحد وطريق واحد» الصين من توسيع نطاق وصولها إلى أوراسيا وتخفيف الضغوط المحلية في الوقت نفسه، في حين أن البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية يتنافس بشكل متزايد مع البنك الدولي.

وعلى الصعيد الاقتصادي، كانت العولمة جيدة بالنسبة لمعظم الاقتصادات الناشئة. وقد زادت مستويات المعيشة في البلدان التي انضمت إلى المجتمع العالمي. وانخفض الفقر العالمي انخفاضاً حاداً، كما ازدادت البلدان الغنية ثراءً. ويعتقد كينغ أن العولمة قد أفادت بشكل خاص الصين والهند وأغنى ١٪ في الدول الغربية. فالفقراء والطبقات العاملة في الغرب غالباً ما فقدوا، ورأوا أجورهم أخذة في الركود. ويمكن الآن أن يتم نقل العديد من وظائف التصنيع في مكان آخر بتكلفة أقل. ويقول كينغ إن عدم المساواة داخل

# حالياً في الأسواق مجلة التفاهم

## عنوان العدد: مناهج النظر والتصرف بين العدل والإحسان

افتتاحية العدد: العدل والإحسان في المجتمعات والدول - عبد الرحمن السالمي

### مدن وثقافات

- القاهرة في عيون ناصر خسرو : محمد فوزي رحيل.

### الإسلام والعالم

- التسامح، الاعتراف والتحرر: تأليف راينر فورست، ترجمة عن الألمانية: محمد عبدالسلام الأشهب.
- الطرق (الصوفية) والمدنية دار الإسلام وما وراءها.

### المحاور

- العدل والإحسان في القرآن الكريم مناهج النظر والتصرف: حميده النيفر.
- قيم الإحسان والخير وتحقيق العدالة في المجتمعات الإسلامية الوسيطة: وفيق بن محمد حجازي.
- رؤى العدل والمسؤولية ورؤى العناية والرحمة عند المتكلمين المسلمين: رضوان السيد.
- العدل والقانون في فلسفة الحق والسياسة والأخلاق الإغريقية: أنموذجاً أفلاطون وأرسطو: محمد الشيخ.
- نظام العدالة ونظام حكم القانون بين كانط وجون رولز: أمل مبروك عبدالحليم.
- رؤى الشريعة والقانون والسنن في أعمال مفسري القرآن المحدثين تفسير المنار أنموذجاً: محمد حلمي عبدالوهاب.
- الدين باعتباره أخلاقاً وإحساناً لدى بعض المفكرين المسلمين المعاصرين: ناجي حجلأوي.
- مصادر المعرفة للاقتصاد الإسلامي وتأمين تحقيق التقدم والعدل: رفعت السيد العوضي.

### دراسات

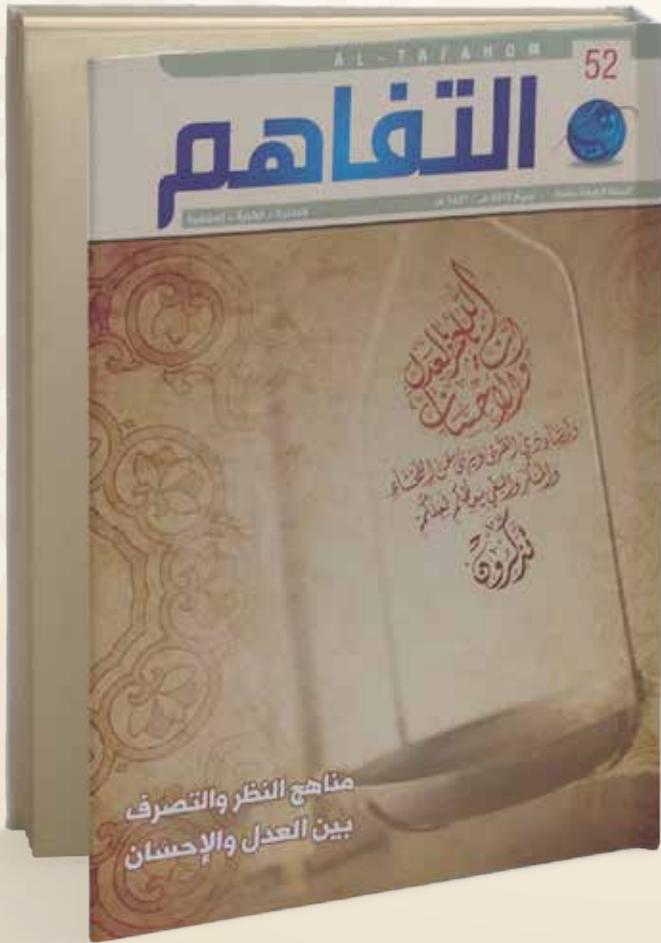
- التفسير والتأويل : الافتراق والتواصل وابعادهما : سعاد كوريم.
- إسهام (مسلمة القرطبي) في تأليف موسوعة إخوان الصفا: ويلفرد مادلونغ.
- الفكر الإصلاحي : مفهوم ودور العمانيين فيه : سلطان الحجري.

### وجهات نظر

- فكر الاستشراق في الثقافة العربية بين موجبات التفعيل وأسباب التعطيل : العياشي ادراوي.
- النظام المالي العالمي والنظرة الشرعية حول العملة الرقمية: محمد السالمي.

### آفاق

- أخلاقيات التحقيق : فيصل الحفيان.
- إشكالات معرفية ومنهجية بين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية: أحمد الفراك.



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف : ٢٤٦٤٤٠٣١ - ٢٤٦٤٤٠٣٢ ، فاكس : ٩٦٨ ٢٤٦٠٥٧٩٩ +

البريد الإلكتروني : [tasamoh@gmail.com](mailto:tasamoh@gmail.com) - [al.tafahom@gmail.com](mailto:al.tafahom@gmail.com) - [www.altafahom.net](http://www.altafahom.net)